ديزيره سقال

امرأة التكوين

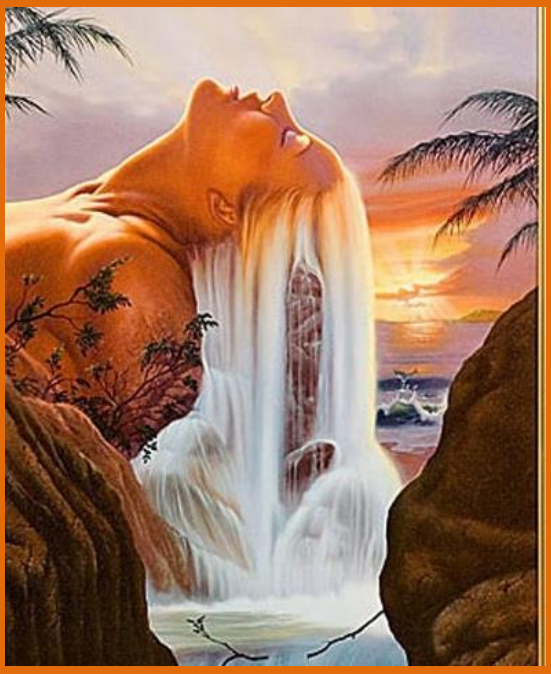

٢٠١٧

مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَبِ
رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

ديزيره سقال

امرأة التكوين

٢٠١٧

إلى يولا، المرأة الَّتي كوّنتْني، وصارت ملاك انتظاري... إلى الأبد.

الفصل الأول:

سِفر التكوين

- ١ -

لَمْ يكنْ قبلَكِ شيءٌ...
كَانَتِ الأرْضُ خَواءً
وَالناسُ عَدَمًا مُطلَقًا.
ثُمَّ صَاتَتِ الحَيَاةُ فَٱنْقدَّ الخَوَاء
وَكُنْتِ/
كانَتِ الآفاقُ شَعْرَكِ
وَخُضْرَةُ الفِرْدوسِ عَيْنيكِ
وَالكَوْثرُ جلْدَكِ
وَكَانَ أريجُ الزَّهرِ مدى رُؤْياكِ
وَأَشِعّةُ الفَجْرِ بَسْمَتَكِ/
صَارَ كُلُّ شَيْءٍ فِيكِ
حُقولَ رَبيعٍ وَنُور.

لَبسَكِ الفَرَحُ العَمِيق
وَغَوَتْ بِكِ السَماءُ.
غَمَرَكِ الأثِيرُ بوَهْجِهِ –
صَارَ وَهْجًا لَكِ،
صَارَ مَلْعَبًا لِقَدَمَيْكِ
تَلثُمُهُما شَفَتَانِ مِنْ نُور.
صَارَ كُلُّ شَيْءٍ فِيكِ
رَنِينَ الحَيَاةِ عَبْرَ المَلَكوت.

– ٢ –

وَعِنْدَمَا تَنَزَّلَ الوُجودُ في أَرِيجِ صَمْتِكِ، اسْتَفَاقَ فِيهِ الخِصْبُ، وَاحْتَرَقَ عَلَى مَذْبَحِهِ الشَوْقُ بَخورًا لَكِ –كَاشَفَكِ وَلَهُ. انسَدَلَ نُورَه ثَوْبًا عَلَى جَسَدِكِ المتَلألِئِ. غَارَ عَلَيْكِ مِنَ النَسيمِ يَخْدِشُكَ، مِنْ رُؤَى الأرضِ تُشَوِّشُ هُدوءَ عَيْنَيْكِ، مِنْ رِقّةِ الماءِ تَجْرَحُ قَدَمَيْكِ العَارِيَتَيْن... غَارَ الوُجودُ عَلَيْكِ فأَحَاطَ

بِكِ، لِتَبْقَي دَاخلَ رُوحِه، فَلاَ يمَسُّكِ سُوءٌ/ غَمَرَكِ بشَوْقِهِ. ضَمَّكِ ببَخورِهِ. عَمَّدَكِ برَحِيقِ الزُّهورِ وأنَاشِيدِ الملائِكةِ، وَتَمَدَّدَ حولَكِ يَتَأمّلُ جَمالَكِ الإلَهِيّ...

وَخَرَجَتِ الشَمْسُ مِنْكِ، ناعِسةً، تَتَحَرَّكُ عَبْرَ نُورِكِ الأَثيرِيّ. كَانَ التِمَاعُها يَلُفُّكِ وَيَحْضِنُكِ، لَكِنَّ عَيْنَيْكِ، حِينَ شَعَّتا، أَخْجَلَتَاهَا، فأَشَاحَت عَنْكِ، وَالْتَمَسَتْ لِنَفْسِها مُعْتَصَمًا، حَتّى، إذا رَأَتْ عَيْنَيْكِ، اتّشَحَتْ بشَيءٍ مِنَ الرَهْبَةِ، وَلَوَّنَتْ ضَوْءَها بخُصْرَةِ الغَاباتِ العَذْراءِ، وَرائِحةِ الفَرَحِ الفَوّاح/ كانَتِ الشَمْسُ تُشْرِقُ مِنْ عَيْنَيْكِ على الأَرْض، حَامِلةً لَهَا الأَمَلَ مِثْلَهَما، وَتَأْوِي إلَيْهِمَا عِنْدَما تَغيبُ، تَمْسَحُ بمَائِهِمَا تَعَبَ نَهَارِها.

وَخَرَجَ النَسيمُ مِنْ لُهَاثِكِ، مَمْهورًا بأَريجِ الزُهُورِ، يَسْكُبُ على الفِرْدَوْسِ المَنْفَتِحِ رَفَّةَ الملائِكة، وَمُداعَباتٍ رَقيقةً لا حَدَّ لَهَا. كانَتْ فِيهِ رائحةُ الحَياةِ الَّتي قَبَسَها مِنْ نَفَسِكِ، يُصبُّها

على البَـوَار فَيَحْيَـا، ويَشُـقُّ قَلْـبَ التُّرابِ فَيَفِيضُ ثِمَـارًا وَبَـراعمَ، وَتَنْفَجِـرُ فِيـهِ اليَنـابيعُ ثَـرَّةً، كَوْثَرِيّـةً، تَسْـقي عَطَـشَ الفِـرْدَوْسِ إِلَيْكِ، وَتَغْتَسِلُ بطُهْرِ قَدَمَيْكِ، تَتَعَلّمُ مِنْهما الرِّقَّةَ، وَسِرَّ الحَرَكةِ إلى الأَمَـام/ وَحِـينَ يُشْـعِلُ الظَمَـأُ التَـوْقَ الأَرْضِـيَّ إلى الارْتِـوَاءِ، تمسَحُهُ يَنابيعُكِ بالحَنَانِ، فَيَهْدَأُ الجَسَدُ، ويَتَبَرَّكُ بِكِ.

وَخَرجَ المدَى مِنْ لَفْتَةِ رُؤْيَتِكِ وَقَدْ تَضَوَّعَتْ مِنْ عَلُ. وَامْتَدَّ في أفُقٍ أَبْيَضَ مِنْ أُقْحُوَانٍ وَثَلْجٍ، يَشْتَفُّ طُهْرَ التَّكْوين، وَيُعـانِقُ فيـكِ الفَـرَحَ الممْتَـدّ، طارِقًـا زَوَايا الأَقْصَـى، مُنْتَزِعًـا مِـنْ زهْرِ الغِناءِ أَلْوانًا لا تُحْصَى، ومِنْ بَحورِ التَسَابيحِ باقةً يُقَدِّمُها لكِ، سَاجدًا عَلَى قَدَمَيْه.

- ٣ -

هَكَـذَا كَـانَ الوُجُـودُ يَفِـيضُ مِنْـكِ، وَيَسْـتَمِدُّ أَشْـيَاءَهُ البَهِيَّةَ. وَمِنْـكِ كَـانَ يَتَعَلَّمُ الصَّـمْتَ وَالصَّـلاةَ، يَتَعَلَّمُ الخُشُـوعَ

وَالعِبادَةَ، وَكَيْفَ يَقْتَرِبُ مِنَ اللهِ عَبْرَ عَيْنَيْكِ الغَابيَّتَينِ وَأَريجِكِ الملائِكيِّ الَّذي يَمْلأُ الفِرْدَوْس.

كانَتْ في عَيْنَيْكِ كُلُّ أَلْوانِ التَّوْقِ، وَفي كَفَّيْكِ العَذْرَاوَيْنِ كُلُّ مَا يُبْرِئُ الجَسَدَ مِنْ تَعَب، وَيَمْسَحُ المَرَضَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَريضٍ.

وَمِنْكِ أَنْتِ انبَثَقَ الفَرَحُ، وَمَجَّدَ اللهَ بصَوْتِ الملائكة. وَبالأناشِيدَ الَّتي تَمْلأُ أَرْجَاءَ الوُجُودِ بَرَكَةً انْبَثَقَ النُورُ. فَاضَ. احْتَرَقَ الأَجْسَادَ. احْتَرَقَ الرُوحَ جزْءًا مِنْ طَبيعَةِ الرُوحِ/ انْبَثَقَ النُورُ. انْدَلَقَ مِنَ الفِرْدَوْسِ عَلَى العَالَمَ. مَجَّدَهُ بِكِ. آلَفَهُ. صَنَعَ لِوَجْهِكِ مَعْبَدًا، وَلِعَيْنَيْكِ غِلالاتٍ مِنَ الغَابَاتِ العَذْراء.

– ٤ –

وَكَانَ أَنْ رانَتْ رُوحُكِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَى كُلِّ زاويةٍ مِنْ زَوايا وُجُودي.

وَكَانَ أَنْ تَحَوَّلْتِ عَنْكِ إِلَيّ، فَشَعَّ في داخِلِي النُورُ — رَفَعَني إِلَيْكِ. فتَحَ عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ:

رَأَيْتُ وَجْهَكِ يَسْبَحُ في بُحَيْرَةِ الأَناشِيدِ
جَزيرةً مِنْ أَثِيرِ الملائكة،
وَمَعْبَدًا يَتَحَصَّنُ فِيهِ البَخُور/
رَأَيْتُ عَيْنَيْكِ، مِنْ خَلَلِ الزَهْوِ الإِلَهِيّ،
تَتَحَصَّنانِ بالعِشْق،
تَفِيضانِ عَلَيّ بأَلْوانٍ لا تُشْبهُ الأَلْوَان،
بغِناءٍ لا يُشْبهُ الغِنَاء...

هَكَذا
تَنْبُتُ فِيَّ أَشْجارُ الوَجْد
وَتُعَرِّشُ بقَلْبي أَنَاشِيدُ العُلَى،
تَحْمِلُني إِلَيْهَا
لأَكْتَشِفَ أَنّي كُنْتُ لا أَعْلَم،

لا أَرَى، أَوْ أَسْمَعُ، أَوْ أَذُوق...

وَأَنْتِ، يا قَرِينَتِي الإِلَهِيَّةَ، كُنْتِ تُعَلِّمِينَنِي كَيْفَ يَدْخُل الكَوْنُ كُلُّهُ فِي لَمْسةِ حَنانٍ واحِدَة/ تُعَلِّمِينَنِي كَيْفَ أَنَّ كُلَّ الأَسْرارِ تَذُوبُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ قَصِيدةٍ/ تُعَلِّمِينَنِي الوَلَهَ، وَالتَحْلِيقَ فِي فِرْدَوْسِ الجُنُون.

كُنْتِ أَنْتِ
تَنْكَشِفِينَ لِي شَجَرَةَ المَعْرِفَة
(لا خَيْرَ. لا شَرّ.)
كُلُّ مَا فِي الفِرْدَوْسِ مُنْكَشِفٌ لَنَا.
كُلُّ مَا فِي الفِرْدَوْسِ مُبَاح.

كُنْتِ أَنْتِ
تَنْفَتِحِينَ لِي كَوَجْهِ الرَبِّ
وَهُوَ يُضِيءُ فِي أَجْراسِ الكَنَائِس،

أَوْ في تَراتيلِ الصَلَوَات.

– ٥ –

هَكَذَا كَانَ الوُجُودُ يَتَفَكَّكُ مِنْكِ، وَيُولَدُ قِطْعَةً قِطْعَةً. كَانَتْ أَجْزاؤُهُ تَسْتَلُّ مِنْكِ الكَيْنُونَةَ، وَالصَبَاحُ يَطْلُعُ مِنْ عَيْنَيكِ اللَوْزِيَّتَيْن.

هَكَذا أَخْرَجْتِ العَالَمَ مِنْ كَلِمَتِكِ البَدْءِ: كُنْ فَيَكُونَ! وَاخْتَرَقَ صَوْتُكِ ثَنَايا كُلِّ شَيْءٍ، فَهَزَّتْهُ النِّعْمَةُ، وَفَتَحَتْ عَيْنَيهِ عَلَى سَدِيمِكِ الرَّائِع.

أَيُجْدي، بَعْدُ،
أَنْ نَبْحَثَ عَنِ الفِرْدَوْسِ وَهُوَ غَائِرٌ فِيكِ؟
أَنْ نَتَسَاءَلَ عَنْ سِرِّ الخَلْق
وَهُوَ يَفِيضُ مِنْ عَيْنَيْكِ؟

أَيُجْدِي، بَعْدُ،
أَنْ نَخْتَرِعَ إِنْجيلًا لِلكَلِمَات،
وَأَنْتِ البَوْحُ الصَافي،
وَلَوْنُ الصَلاةِ،
وَكُلُّ الكَلِمَات؟

الفصل الثاني:
سِفْر الانكِشَاف

- ١ -

أَطَلَّ وَجْهُكِ عَلَى العَالَمِ مِنْ عَلُ. خَرَّتِ اليَنَابيعُ أَمَامَكِ. سَجَدَتِ الغَابَاتُ خَاشِعَةً. أَشَاحَتِ النُجُومُ خَجْلَى مِنْ ضَوْئِكِ. أَحَاطتْكِ الغُيُومُ تَتَبَرَّكُ مِنْهُ. لَثَمَ التُرابُ قَدَمَيْكِ لِيَسْرِيَ فِيهِ الخِصْبُ. وَمِنْكِ كَانَ الطَلْعُ، مِنْكِ كَانَتْ زَقْزَقَةُ الطُيُور في الصَّباحِ، وَكَرْكَرَةُ الميَاهِ في السَّوَاقِي، وَهِيَ تُصَلّي لَكِ.

أَطَلَّ وَجْهُكِ عَلَى العَالَمِ، فَأَنْهَلَّ النُورُ. كَانَ الصَبَاحُ. اسْتَحَمَّ في ضَوْئِكِ. انْبَلَجَ مِنْكِ. تَعَمَّدَ فِيكِ، وَاسْتَمَدَّ زَهْوَهُ وَقُوّتَه. خَجِلَ اللَيْلُ مِنْكِ لِسَوَادِه، فَزَيَّنَهُ بنُورِ القَمَر وَعُيُونِ النُجُوم. وَرَنَتْ إِلَيْكِ الخَليقةُ مِنْ بَعِيدٍ، فَفَاضَ عَلَيْهَا الفَرَحُ، وَتَعَلَّمَتْ مِنْكِ الغِبْطةُ.

مُدِّي مِنْكِ ضِلْعًا وَكَوِّنِيني!

كَانَتْ عَيْنَاكِ يَنْبُوعَيْنِ أَخْضَرَيْنِ، يَغْسِلانِ أَمَامِي كِيَانَ العَالَمِ. كَانَتْ يَداكِ مَطَرًا يَدْفِقُ الحَيَاةَ فِي أَحْشَاءِ الأَرْضِ، ويُخْرِجُ مِنْ رَحِمِها أَشْجَارَ الضَوْءِ، وَثِمَارَ الأَمَلِ. كَانَ نَفَسُكِ نَسِيمًا رَقِيقًا يُدَغْدِغُ وَجْهَ البَسِيطَةِ، فَتَكْتَشِفَ الغِبْطَةَ النُورانِيَّةَ وَهِيَ تَنْفَتَحُ فِي أَعْمَاقِهَا، وَأَناشِيدَ الأَعْلَى وَهِيَ تَرْشَحُ مِنْكِ.

كَانَتْ عَيْنَاكِ آفاقًا لا حَدَّ لَهَا مِنَ الذُهُولِ الإِلَهِيّ، تَرَيانِ إِلَى أَشْيَاءِ الأَرْضِ؛ وَكُلَّمَا سَقَطَتْ مِنْهُمَا دَمْعَةٌ أَيْنَعَتْ دُنْيَا، وَٱنْبَثَقَتْ حَيَاةٌ... كُلَّمَا سَقَطَتْ مِنْهُمَا دَمْعَةٌ كُوِّنَتْ كَوَاكِبُ وَنُجُومٌ وَمَجَرّات...

هَكَذَا اسْتَمَدَّ الفَضَاءُ كَوَاكِبَهُ وَأَجْرَامَهُ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْكِ، دَمْعَةً دَمْعَةً وَهِيَ تُذَرِذِرُ حُبُورَهَا مِنْ رُوحِ اللهِ، أَوْ تَسِيلُ عَلَى الدُنْيا مِنْ مُهْجتِهِ إِذْ تَقْطُرُ حُبًّا.

هَكَذا أَنْتِ:
شَرَارَةٌ إِلَهِيَّةٌ قَدَّتْ وَجْهَ القَمَر،
فَكَانَ الوُجُودُ.

خُذِي مِنْكِ ضِلْعًا وَكَوِّنِينِي.
خُذِي ثَمَرَكِ وَأَلْهِبِينِي بِهِ أَكْتَشِفْ وَأَعِ،
أَخْرُجْ إِلَيْكِ كَمَا مِنْ أَثِير،
يا نَوَاةَ الحَيَاة،
يا سِرَّ التَّكْوين.

- ٢ -

رَأَيْتُكِ تَبْدِينَ قُدّاسَ اللَوْنِ: تُخْرِجينَ أَلْوَانَ الغَابَاتِ، فَتَفِيضُ خُضْرَةُ عَيْنَيْكِ أَلَقًا/ تُخْرِجينَ أَزْرِقَاقَ السَمَاءِ، فَتَفِيضُ زُرْقَةُ مُهْجَتِكِ صُوَرًا/ تُخْرِجينَ أَحْمِرَارَ الوَرْدِ، فَتَفِيضُ حُمْرَةُ

شَـفَتَيْكِ قُبْلَـةً رائِعَـةً/ تُخْـرِجينَ ٱبْيضَـاضَ الثُلـوجِ والأَقَـاحِي، فَيَفِيضُ طُهْرُ وَجْهِكِ أُنْشُودَةَ الأَبَد...

وَمِنْـكِ يَنْـدَلِقُ قَـوْسُ قُـزَحَ. يَتَكَـاثَرُ اللـونُ. يَتَكَسَّـرُ/ يَتَكَثَّـرُ/ يَنْـزَرِعُ في الـدُنْيا زُرُوعًـا، وَمَـاءً، وَأَهَـازيجَ. تَسْـتَغْرِقُ الصَّـباحَاتُ في طَـلٍّ يُـذَرْذِرُ السُّـطُوعَ الإِلَهِـيَّ مَاسًـا مُلَـوَّنًا، يَوَاقِيتَ، فَيْرُوزًا...

وَتُخْـرِجُ مِـنْ حَنْجَرَتِـكِ الطُّيُـورُ، وَيُحَلِّـقُ مِـنْ عَيْنَيْـكِ السَّـمَنْدَلُ ، تَرْسُـمُ الشَّـحَارِيرُ عِنْـدَ الفَجْـرِ، بأَصْـواتِهَا، أُنْشُـودَةَ الفَرَحِ، وَلَوْنَ الحَيَاةِ. تَتَعَرّى حَتّى الصَفَاء. تُحَلِّقُ النُسُورُ في زُرْقَةِ سَمَائِكِ – وَأَنْتِ الزَّهْوُ حَتّى الذُهُول، حَتَّى البَرَكَة... يَا أَلْوَانَ الأَعَالِي الَّتي تَفِيضُ عَلَى الدُنْيا كَسُيُول الكَوْثَر،

يا لَوْنَ الرَّبِّ الَّذي لا يُشْبهُ أَيَّ لَوْن...

*****

آهِ،

خُذِي بَعْضَ عَبَقِ لونِكِ
وَٱنْثُرِيهِ فَوْقَ أَيِّ تُرَابٍ
أَكُنْ أُنْشودَةَ زَهْوٍ تَنْدَلِعُ مِنْ أَلْوَانِكِ
لِتُبارِكَ كَائنَكِ القُدُّوسَ.

- ٣ -

كَانَ العَالمُ يَمُدُّ إِلَيْكِ يَدَيْهِ، خَاشِعًا، لِيَحْتَرِقَ فِي سُطُوعِكِ المنْهَلَّ. وَبَيْنَ رَعْشةٍ وَرَعْشَة، يَنْسَلُّ فِيكِ، رائعًا، مَزْهوًّا بِكِ. وَكَانَتْ عَيْنَا الرَبِّ تَنْظُرانِ إِلَيْهِ وَهُوَ يَتَكَامَلُ مِنْ كِيَانِكِ، ويَسْتَمِدُّ حُضُورَه مِنْكِ، مُتوَّجًا بأَلَقِكِ الفِرْدَوْسِيّ.

وَحِينَ تَمْشِينَ فِي ذُهُولِ الوُجُودِ، يَلْثُمُ وَقْعَ خَطْوِكِ عَلَيْهِ، فَيَطِيرُ مِنْ حُبُورٍ، وَتَنْهَلُّ الخَلِيقةُ فِيهِ، رائِعَةً، تَسِيرُ إثرَكِ، مَذْهُولةً، عَابقةً بالحَيَاة، تَتَبارَكُ بِكِ، وَهِيَ تَلْثُمُ قَدَمَيْكِ الإلَهِيّتَيْن...

يا ٱلتِماعَ النُجُومِ وَالمجَرّات،
فِيضِي علَيَّ بنُورِكِ العُلَوِيّ
أَكُنِ ارْتِعَاشَكِ،
وَأَتَحَرَّرْ مِنْ أَغْلالِ الفَنَاء...

***

كَانَ العَالَمُ يَسْتَمِدُّ نَبْضَهُ حِينَ تُسَبّحِين، وَتَنْكَشِفُ لَهُ رَوْعَةُ ذَاتِه حِينَ يُطِلُّ عَلَيْهِ وَجْهُكِ، وَيَتَدَفّقُ فِيهِ الفَرَحُ العَمِيقُ حِينَ تَبْتَسِمِين... كَانَ العَالَمُ أَيْقُونَةً تُرَصِّعُ وَجْهَكِ الإِلَهِيّ بأُقْحُوَانِ الطُهْرِ.

وَإِذَا أَخْرَجْتِ اللَيْلَ، خَجِلًا، مِنَ النَهَار، مَسَحْتِهِ بالهُدُوءِ، وَوَشَّحْتِهِ بالضِدِّ لِيُكْمِلَ النَهَارَ، فاكْتَمَلَ بِكِ، وَٱمْتَدَّ عَلَى مَدَى الأُفُقِ إِغْمَاضَةً لِعَيْنَيْكِ حِينَ تَحْلُمِين، وَهُدُوءًا عَمِيقًا لِضَمِيرِكِ السَّرْمَدِيّ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فِي نُورِ العُلَى.

وَكَانَ الفَجْرُ وِشَاحَكِ الثاني إِذَا مَلَلْتِ الهُدُوءَ، وَمَالَتْ سَجيَّتُكِ إلى فَوَرانِ الجُنون، فانْدَلَعَتِ الأَصْواتُ تُحْيي حَرَكَةَ الحَياةِ الَّتي كَوَّنْتِها أَنْتِ.

عَلَّمْتِ الكَوْنَ الأَسْماءَ كُلَّهَا. وَسَمْتِهِ بِكِ. سَمَّيْتِ الأَرْضَ أَرْضًا، وَالشَّجَرَ شَجَرًا، وَالماءَ مَاءً. سَمَّيْتِ السَّمَاءَ سَمَاءً، وَالنُّورَ نُورًا. كُلُّ ٱسْمٍ خَرَجَ مِنْكِ ٱنْبثاقًا/ خَرَجْتُ أَنَا. تَسَمَّيْتُ مِنْكِ. انْكَبَبْتُ عَلَى الخَلْقِ أَبْحَثُ عَنّي في غُبارِ الماهِيَّةِ. تَسَمّيْتُ مِنْكِ/ سَمَّيْتُكِ...

وَمَعَ ذَلِكَ
كانَ كُلُّ مَا فِيَّ غَائِبًا فِيكِ،
وَكُنْتِ أَنْتِ الأَلِفَ وَاليَاءَ/ الكِثْرةَ والوَحْدَةَ/ الضِّدَّ وَالضِّدَّ/ صَوْتَ الأَرْضِ وَصَوْتَ السَّمَاء...

كُنْتِ أَنْتِ طَلْعًا مِنْ نُورٍ أَخْضَرَ، يُعانِقُ عَيْنَيّ، يُولِدُهُما البَهْجَةَ، يُولِجُ كِيَاني جَوْهَرَةَ الحُبُور...

***

هَكَذا كَوَّنْتِنِي، وَاسْتَيْقَظْتِ عَلَى خَاطِرِي وَوُجودي كَنَسيمٍ مِنْ نُورٍ، شَالَ بي إلى مَا لَمْ أَرَهُ. هَكَذا سَمّيْتِنِي مَا يَجْعَلُكِ أَكْثَرَ تَأَلُّقًا، وَأَرَقَّ تَوَرُّدًا مِنْ أَجْلِ العَالَمِ.

وَكَانَ مِنْكِ أَنْتِ بَهَائِي،
كَانَ مِنْكِ نُهُوضِي إلى الأَنوارِ العُلَى،
وَٱلْتِماسِي مَا يَجْعَلُنِي أَكْثَرَ تَوَتُّرًا،
وَأَشَدَّ انْبجَاسًا/ انْبَجَسْتُ مِنْكِ
يا رَائِحَةَ التَّكْوين وَهُوَ يُطِلُّ مِنْ وَجْهِ رَبِّي،
يَا كِيَانَ الوُجُودِ وَهُوَ يَتوقُ إلى الوُجُود.

هَكَـذَا خَـرَجَ مِـنْ يَـدَيْكِ الخَاشِـعَتَيْنِ مَـدَى التَّكْـوين، وَخَـرَجَ مِـنْ عَيْنَيْـكِ اللَـوْزِيَّتَيْنِ كُـلُّ نُـورٍ عَلَـى البَسِـيطَةِ بالـرُوحِ الإِلَهِيّةِ، وَخَرَجَ مِنْ حَنْجَرَتِكِ السَّمَاوِيَّةِ نَشِيدُ الملائكة، وَهِيَ تَتَدَلّى مِنْ حَبْلِ الفِرْدَوْسِ إِلَى أَدِيمِ العَالَمَ.

هَكَذا لَمَمْتِ العَالَمَ عَلَى العَالَمَ، وَنَفَخْتِ فِيهِ بنَظْرَتِكِ إِلَيْهِ لَوْنَ الحَياةِ، وَدِفْقَ الكَيْنُونَة.

هَكَذا أَخْرَجْتِنِي مِنْ ضِلْعِكِ صِنْوًا لَكِ، وَسَلَلْتِنِي مِنْ عَيْنَيْكِ نَظْرَةً تُغَلِّفُ نَظَرَكِ بجلْدِها، لِتَحْمِيَهُ مِنْ قُبْحٍ، وَسَمَّيْتِنِي ظِلَّـكِ، وَوَشْوَشْـتِ فِي أُذُنِي سِـرَّكِ، فَانْـدَفَعَ فِي كِيَـانِي حُـبُّ البَقَاء...

هَكَـذا أَنْـتِ، يَا مَـنْ يُطَهِّـرُ الأَشْـياءَ بلَمْسِـها، وَيَرْفـعُ عَنْهـا خَطَرَ القُبْحِ بالنَظَرِ إِلَيْهـا، وَيَرُدُّ الحَيـاةَ إلى مَـا بَارَتْ فِيـهِ الحَياةُ.

هَكَذا أَنْتِ:

رُوحٌ تَفِيضُ عَلَى الدُنيَا

وَتَروي عَطَشَها إلى الغِبْطَة،

أَوْ نَشِيدٌ أَثِيرِيٌّ،

يَزْرَعُ في عُمْقِ الوُجُود

هُوِيّةَ الوُجُود.

الفصل الثالث:

سِفر الرُّؤيا

- ١ -

أَلَمُّ عَنْ عَيْنَيَّ رَذاذَ نُورِكِ، حِينَ أَنْخَطِفُ إِلَيْكِ لأُشْبعَ جُوعَ رُوحِي. بِكِ عرَفْتُ الجُوعَ وَالشَّبَعَ، العَطَشَ والارْتِوَاءَ، التَّعَبَ وَالرَّاحَةَ. بِكِ ٱلتَأَمَتْ رُوحِي، وَفَضَّتِ النِعْمَةُ خَتْمَها، فأَشْرَقَتْ فِيَّ، وَهَامَتْ تُنْشِدُ فِي فِرْدَوْسِكِ أَنَاشِيدَ الملائكة، وَتُصَلّي عَبْرَ حُبِكِ صَلَواتِ الأَنْبيَاء.

رَائيًا صِرْتُ، وَمِنْ عَيْنَيْكِ أَرَى؛ مِنْهُمَا أُجَسِّدُ النِّعْمَةَ الَّتي تَجْتَاحُني، وَتَسْتَعْمِرُني، وَتَخْتَرِقُ ذَاتِي.

رَائيًا صِرْتُ، وفِي عَيْنَيْكِ أَشْتَفُّ رَذاذَ النُّورِ الَّذي يُكَلِّلُ رُوحِي كأُنْشُوطَةِ الأَبَدِيَّةِ، وَيَحْمِلُ كَائِنِي، كُلَّ كَائِنِي، إِلى الطَبَقاتِ العُلَى، يَسْتَظِلُّ بِكِ، يا ٱمْرَأَةَ التَّكْوين.

رائيًا صِرْتُ. وَكَالرَائِينَ أَقْطِفُ الغَيْبَ مِنْ وَحْيِ إِشْراقِكِ، وَأَقْرَأُ الآتِيَ كَقَصِيدَةٍ/ كالرَائِينَ أُعَدِّدُ الأَشْياءَ في فَيْضِ النُّورِ، وَأَقْبِضُ عَلَى ذَاتِي خِلالَهُ، وَهِيَ تَتَحَلَّلُ ذَرّاتٍ مُشْرِقَةً حَوْلَ أَثِيرِكِ المشِعّ.

*****

رَأَيْتُنِي شَرارَةً تُشْعِلُ قَلْبِكِ السَحِيقَ، وفي قَلْبِكِ كُلُّ مَكَامنِ الوَرْدِ وَالأُقْحُوان. في قَلْبِكِ مَغَاراتُ الماسِ وَالزُمُرُّدِ وَالفَيْرُوز. في قَلْبِكِ كُلُّ ثِمارِ الفِرْدَوْس، وَكُلُّ الغِبْطَةِ العُلْيَا المنْبَثِقَةِ مِنْ تَمْجيدِ الرَّبّ.

رَأَيْتُنِي قَطْرَةَ دَمٍ يَنْبِضُ بِهَا قَلْبِكِ، تَخْتَصِرُ عُمْرِي كُلَّهُ، وَعُمْرَ الكَوَاكِبِ وَالأَجْرَامِ الَّتي انْبَثَقَتْ مِنْ قَطَراتِ عَيْنَيْكِ.

رَأَيْتُني هَمْسَةً تَمُرُّ عَلَى شَفَتَيْكِ، فَتَصِيرُ أَحْلَى مِنْ كُلِّ قَصَائدِ الشُّعَراء، وَأَرْوَعَ مِنْ أَناشِيدِ الأَطْفالِ، وَأَجَلَّ مِنْ تَهَالِيلِ المُلُوك...

رَأَيْتُنِي أَسْتَعيرُ مِنْ صَوْتِكِ صَوْتِي: وَمِنْ نُورِكِ نُورَ عَيْنَيّ، وَمِنْ نَبْضِكِ نَبْضَ قَلْبِي، فَأَصِيرُ بِكِ يَقِينًا وَجَوْهَرًا، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ عَرَضًا في مَمْلَكَةِ الأَعْراض.

أَيَّتُها الآتِيَةُ مِنْ قَلْبِ النُّور،
مِنْ كِيَانِ الفِرْدَوْسِ الأَعْمَق،
مِنْ غِبْطَةِ الرَّبِّ العَميقَةِ...
يا ٱمْرأَةً تَخْتَصِرُ تاريخَ النُّور،
وَأَعْمَارَ الملائِكَة...
أَيَّتُها الوَاحِدَةُ الوَاحِدَة،
مُدّي إِلَيَّ يَدَكِ/ المِسيني
يَنْفَتِحْ في قَرارِيَ الفِرْدَوْس.

- ٢ -

ارْتَحْتِ فِي السَّابِعِ بَعْدَ التَّكْوين. كَرَّسْتِ السَابعَ يَوْمًا لَكِ: فِيهِ تَتَأَمَّلِينَ خَلْقَكِ، وَتُمَيِّزِينَ وَجْهي، وَهُوَ يَرْنو إِلَيْكِ مِنْ خَلَلِ الضَّبَاب. لَكِنَّ كِيَانَكِ ظَلَّ شَبُوبًا، يَتَحَرَّكُ بَيْنَ الأَزَلِ وَاللاَنِهَايَةِ، وَيَلعَبُ، دَؤُوبًا، فِي مَجَالِ المطْلَقِ، يَقْطِفُ مِنْ وُعُورِهِ قُوّةَ البَقاءِ، وَجَبَرُوتَ الاسْتِمْرار.

كَانَ وَجْهُكِ الهادِئُ فِي قَلْبِي يَفتَحُ لِي أَعْمَاقَ السَّمَاءِ، فَأَقْرَأُ غِبْطَتَها حَرْفًا حَرْفًا، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكِ أَبْجَدِيَّةَ الأَشْيَاءِ: كُلُّ حَرْفٍ تَاريخٌ وَلَوْنٌ، وَكُلُّ صَدًى أُنْشودَةٌ أَبَدِيَّةٌ، تَسْتَمِدُّ مِنْ حَنْجَرَتِكِ الإِلَهِيَّةِ رَوْعةَ النَّشِيد.

كَانَتْ عَيْنَاكِ المسْدَلَتانِ عَلَى أَرْضِ البَشَرِ قُبّةً مِنْ نُورٍ، تَقِي الدُنْيا نَيازِكَ الهُمُومِ، وَتَعْصِمُ قَلْبِي، فَلا يُضِيعُهُ إِعْصَارُ الوَجْدِ.

وَمِنْ هُدوئِكِ الملائِكِيّ أَتَعَلَّمُ العِشْقَ، أَقْطِفُ ثِمَارَهُ في بَسَاتِينِ قَلْبِي، وَأَذُوقُ تُفّاحَهُ الرَائعَ في سُهُولِ عُرُوقِي...

كُنْتِ نَبْضَ عُرُوقِي،
كُنْتِ دَمِي،
كُنْتِ الحَرَكَةَ الَّتي تُحْيي عِظَامِي،
كُنْتِ الأَلَقَ الَّذي يُشْعِلُ رُوحِي
فَيَكْشِفُ لَهَا كِيانَكِ السَّحِيقَ.

- ٣ -

عَارِيَةً إلّا مِنْ ذَاتِكِ، تَنْزِلِينَ إلى قَلْبِي، تَمْسَحِينَه بطِيبِ العِشْق؛ تُعَطِّرِينَ أَرْجَاءَهُ ببَخُورِ الوَجْد؛ تُزَيّنينَ زَوَايَاهُ بلَوْزِ عَيْنَيْكِ.

عَارِيَةً تَنْزِلِينَ إلى قَلْبي، فَيَتَعلَّمُ مِنْكِ سِرَّ الحُبِّ، وَنِعْمَةَ الشَّغَف. يَنْفَتِحُ عَلَى عَالَمِكِ فَيَتَّسِعُ. يَنْقَفلُ عَلَيْكِ، وَيَمْتَصُّ رائحَتَكِ مِنْ أَرْزِ لُبْنانَ وَلُبانِ وُعُورِه، وَيَرْتَدُّ عَلى ذَاتِهِ، مُتَألِّقًا كَالفِرْدَوْس.

يَصِيرُ قَلْبي غِطَاءً لِرَوْعَتِكِ، يَحْمِي نَظَراتِكِ مِنَ العَثْرَةِ، وَقَدَمَيكِ مِنْ أَنْ تَنْخَدِشا بالأرضِ. يَصِيرُ قَلْبي سَجّادةً لمرُورِكِ، تَحْمِلينَها مَعَكِ إلى سَمَاءِ الأَلَق.

وَعِنْدَ اقْتِرانِ الشَمْسِ بالأُفُق، عِنْدَما يُكَحِّلُ عَيْنَيْكِ لَوْنُ الغُرُوبِ، أَسْجُدُ في مَعْبَدي، وَأَنْظُرُ نَحْوَكِ، مُتَمَلِّيًا جَمالَكِ الشَّفّافَ، وَأَريجَ اللَوْنِ النَازِفَ مِنْ رَوْعَةِ الوُجُودِ، عَلَى بَرِيقِ عَيْنَيْكِ/ صَفَاءٌ... صَفَاءٌ...

اجْعَلِيني خَاتَمًا في قَلْبِكِ فَأَخْتُمَ عَلَيْهِ بقَلْبي وَذَاتِي.

اجْعَلِيني حَطَبًا في مَذْبَحِكِ الهَائِلِ فأحْتَرِقَ نَارًا تَرْتَعِشُ مِنْ أجْلِكِ، يا غَمْرَ التَّكْوين، يا طَلْعَ الحَيَاةِ، يا نَفَسَ العُلَى يُحْيِي الجَسَدَ الفَارِغَ.

اجْعَلِيني أَرْضًا لكِ فَأَفْتَحَ أَمَامَ دَرْبِكِ زَهْرَ الرُمّانِ وَاللَيْمون، وَأَفْرُشَ وِطْئَكِ بالأُقْحُوانِ وَاليَاسَمين...

بَاطِلٌ كِيَانِي، أَمَّا كِيَانُكِ فَقَائِم.
باطِلٌ وُجُودِي، أَمَّا وُجُودُكِ فَحَيَاةُ كُلِّ مَوْجُود.

*****

أَنامُ عَلَى ذَاتِي، وَأَسْتَيْقِظُ لِأَنَّكِ تَدْعِينَنِي. أَخْرُجُ إِلَيْكِ مِنْ حُقولِ النُّعَاسِ الحَجَرِيّ. وَحِينَ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ، تُعْطِينَنِي الأُمَمَ مِيرَاثًا، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا. تَبْنِينَنِي وَتَهْدُمِينَنِي، ثُمَّ إِلَيْكِ أُرْجَعُ. وَبَيْنَ يَدَيْكِ الفَضاءَاتُ وَالدُّنْيا، بَيْنَ يَدَيْكِ القُلُوبُ، المصَائِرُ... بَيْنَ يَدَيْكِ الشُّمُوسُ وَضَوْؤُها...

أَنَامُ عَلَى ذَاتِي، وَأَسْتَيْقِظُ لأَنَّكِ تَدْعِينَنِي:

أَعْطِينِي أَنْ أَرَى نُورَ وَجْهَكِ فَأَرْفَعَ اللَيْلَ عَنْ عَيْنَيَّ.

أَعْطِينِي أَنْ أَضْطَجِعَ فِي سَكِينَةِ رُوحِكِ فَتَشْرَبَ ذَاتِي نِعْمَةَ الهُدُوء.

أَعْطِينِي أَنْ أَرْتَفِعَ إِلَيْكِ مِنْ عَالَمِيَ النَاهِدِ فَأَقْبِضَ عَلَى ذَاتِي، وَأَكْتَشِفَ رَوْعَةَ قِمَمِها، وَهَوْلَ وِدْيانِهَا.

هَاتِي يَدَكِ فَأَبْرَأَ مِنْ مَرَضٍ، وَأَقوُمَ مِنْ عَثْرَةٍ، وَأَنْفُضَ عَنْ قَلْبِيَ الحُزْنَ وَالتَرَحَ. يَدَكِ، يَدَكِ فَتُورِقَ الغُيوبُ عَلَى عَيْنَيَّ، وَتَنْفَتِحَ الدُّرُوبُ أَمَامِي، وَتَتَكلّلَ الرّوح بهَالَةٍ مِنْ نُورٍ.

يَدَكَ فَأَمْسَحَ الموْتَ بالحَيَاةِ، وَأَشُقَّ رَمْلَ الصَحَارَى عَنْ مِياهٍ، وَأَرُدَّ خُضْرَةَ الزَرْعِ إلى التُرابِ البَائِرِ.

آهِ، يَـدَكِ فَـأَتْرُكَ هَـذَا الجَسَـدَ المصَـدَّعَ المنْجَـذِرَ في الأَرْضِ، وَأَرْتَفِعَ إلى فِرْدَوْسِكِ، كَمَا تَرْتَفِعُ الغَمَامَاتُ، حَلَقاتٍ حَلَقَاتٍ، حَوْلَ جَبينِ السَّمَاء.

– ٤ –

أَيَّتُها الوَاحِدَةُ الوَاحِدَةُ،

عَلّمِينِي أَنْ أَكُونَ نُورًا يُوَشِّحُ عَيْنَيْكِ،
عَلّمِينِي أَنْ أَكُونَ أَرَجًا يُعَطِّرُ حِلْدَكِ المضِيءَ.
عَلّمِينِي أَنْ أَكُونَ ٱلْتِمَاعَ عَيْنَيْكِ وَهُمَا تَنْظُرانِ إِلَى غِبْطَةِ الفِرْدَوْسِ.
عَلّمِينِي أَنْ أَكُونَ نَبْضَ قَلْبِكِ، عِنْدَمَا يَبْتَسِمُ لِمَطَرِ العِشْقِ.
عَلِّمِينِي أَنْ أَكُونَ ابْتِسَامَةَ ثَغْرِكِ، عِنْدَمَا تَشْتَعِلُ رُوحُكِ بالغِبْطَةِ.

عَلِّمِينِي أَنْ أَحْيَا بِكِ، أَنْ أَمُوتَ، لِأَنَّ المَوْتَ قَوِيٌّ كَالحَيَاة.

وَإِذَا طَرَقَتْ رُوحِي رِتَاجَكِ الضَوْئِيَّ
فَٱفْتَحِي لِي مَنْفَذًا صَغِيرًا مِنْهُ إِلَى قَلْبِكِ،
لِأَحْمِلَ لَكِ رُوحِي باقَةَ زَهْرٍ
تُرَصِّعِينَ بِهَا حُبُورَكِ الإِلَهِيَّ.

الفصل الرابع:

سِفْرُ الجَسَد الأوّل

- ١ -

تَنْزِلِينَ إلَيَّ مِنْ عَلْيَاءَ، عَلَى حِبَالِ السَّدِيمِ المَمْدُودَةِ/ تَسْتَعْمِرِينَ جَسَدِي/ تَقْرَإِينَنِي حَرْفًا حَرْفًا، عُضْوًا عُضْوًا، وتَكْتُبِينَ بي أُنْشُودَةَ التَّكْوينِ الجَديد. وَعِنْدَما أَتَنَزَّلُكِ في قَلْبي، عَمِيقًا، كَالخَاطِرِ الَّذي يَفِرُّ إِلَيّ مِنْ وِجْدَانِ اللهِ، أَعْرِفُ أَنَّنِي تَبَرَّكْتُ بِكِ، وَأَنَّنِي بِكِ صِرْتُ كُلَّ شِلْوٍ، وَكُلَّ خَاطِرٍ، وَكُلَّ نَبْضةِ فَرَحٍ...

أَيَّتُهَا المَرْأةُ الَّتي تَجْبُلُ الجَمَالَ فيَّ بكُلِّ نَظْرَةٍ مِنْ عَيْنَيْهَا، وَكُلِّ ابْتِسَامَةٍ مِنْ ثَغْرِها الإلَهِيّ. أَيَّتُها الرّائِحَةُ الَّتي تَحْمِلُني إلى قَرَارةِ جَسَدِي حَتَّى الفَنَاءِ، حَتّى العَوْدَةِ... أَيَّتُهَا الأُنْشُودَةُ البِكْرُ الَّتي تَشِيلُ بي إِلَى حَيْثُ أَتَقَطَّرُ كالرَذَاذِ في فِرْدَوسِ رَوْعَتِهَا... يا سِرًّا يَخْتَصِرُ تَارِيخَ الرَوْعَةِ في مَحْضِ

ٱبْتِسَامَةٍ، اجْبليني أَتَعَمَّدْ بِنَشْوَتِكِ الإِلَهِيَّةِ، وَأُبَشِّرْ بِكِ في زَوَايَا المَعْمُور...

*****

لِصَمْتِكِ الهَائِلِ أَغْصَانٌ وَارِفَاتٌ أَتَظَلَّلُ بِهَا/ لِضَوْءِ ٱبْتِسَامَتِكِ المُحْيِي أُعْجُوبَةُ الكَشْفِ، وَمَقْدِرَةُ مَسْحِ الظَّلامِ عَنْ كُلِّ عَيْنٍ لا تَرَى/ لِرائِحَةِ قُبْلَتِكِ الوَارِفَةِ غَابَاتٌ مِنَ الصَّنَوْبَرِ البَرِّيِّ تَشْتَعِلُ في الجَسَدِ/ لِصَوْتِكِ المَاطِرِ حَيَاةً كُلُّ رَوْعَةِ الأَنَاشِيدِ في دُنْيَوَاتِ النَّاسِ...

أَوَّاهُ،
أَيَّتُهَا القُبْلَةُ الأَثِيرِيَّةُ الَّتي يَغْوَى بِهَا الفِرْدَوْسُ،
الْقُبْلَةُ الَّتي لَمْ تَنْطَبِعْ فَوْقَ خَدٍّ أَوْ شَفَة،
القُبْلَةُ الَّتي تَرُدُّ الحَيَاةَ إلى الحَيَاةَ، وَالزَّهْوَ إلى الزَّهْوِ،
القُبْلَةُ الَّتي تُكَوِّنُ كُلَّ شَفَةٍ في كُلِّ أَرْضٍ وَأَثِير،
يا دَهْشَتِي،

يا رَوْعَتِيَ الفَائِرَةَ مِنْ فِرْدَوْسٍ أَبْعَدَ مِنْ حُلْمٍ...

لَيْتَ أَنّكِ تَكْسِرينَ عُودِي، وَتُلَوّنِينَنِي بِكِ أَكْثَفَ مِنَ الوَاقِعِ، وَأَصْفَى مِنَ الرُوح.

لَيْتَ أَنَّكِ تَسْكُنِينَ في حُلْمِي، لِيَنْهَلَّ مِنْهُ حُبُورُ الملائِكةِ،

لَيْتَ أَنَّ وَجْهَكِ الملائِكِيَّ يَرْسُمُنِي طَيْفًا لَهُ

فَأَكْسِرَ هَشَاشَةَ مَلامِحِي،

وَوَضَاعَةَ كائِنِي،

أَيَّتُها المرْأَةُ الَّتي اخْتَصَرَتْ كُلَّ كِيَانِي بنَظْرَةٍ وَاحِدَة...

أَوّاهْ،

لَيْتَ لَيْتَ أَنَّكِ تُحْرِقِينَنِي بَخُورًا في مَذْبَحِ قَلْبِكِ

فَأَضُمَّ جَسَدَكِ بدُخَانٍ مِنْ غِبْطَةٍ

وَأَغِيبَ... أَغِيبَ... أَغِيب...

- ٢ -

أَكْتُبُ الآنَ سِفْرَ الجَسَد/

هَذِي أَعْضَاؤُكِ: كُلُّ عُضْوٍ يَعْرِفُ لِي لَحْنَ البِدَايَةِ. كُلُّ عُضْوٍ يُمِيتُنِي ويُحْيِينِي، يُكَوِّنُنِي – أَنَا الفَانِيَ فِيكِ، المَوْلُودَ مِنْكِ كَقَوْسِ قُزَحَ –. كُلُّ عُضْوٍ لَوْنٌ مِنِّي. كُلُّ عُضْوٍ شِلْوٌ، حَيَاةٌ، دُنْيا...

أَكْتُبُ الآنَ سِفْرَ الجَسَدِ/

هَا أَنْتِ: حُقُولٌ يَانِعَةٌ مِنْ دُرّاقٍ وَإِجّاصٍ، وَأَنا التُّرَابُ. أَذُوقُ ثِمَارَكِ قَضْمَةً قَضْمَةً. أَشُمُّ رائِحَةَ ضَوْعِكِ، وَضَوْعُكِ الخُزَامَى، وَاللُبانُ، وَالصَنْدَلُ، حِينَ تَلْتَمُّ فِي مِحْرابِ الرَّبِّ/ أَشُمُّ نُورَكِ وَهُوَ يَتَغَلْغَلُ فِي نَشْوَةِ جَسَدِي/ أَشُمُّ نَظَرَاتِكِ وَهِيَ تَخْتَرِقُ حَوَاجِزِي، لِتَسْتَقِرَّ فِي قَرَارَتِي – وَأَنْتِ الشَّبَقُ الفَوْقِيُّ إذا نَمَّ عَنْ شَهْوَتِكِ النُّورانِيَّةِ، أَنْتِ رائِحَةُ اللذَّةِ عِنْدَما تَذُوبُ فِي شَهَقَاتِ

الكِيَانِ المنْخَطِف، يا أُقْحُوَانَةَ السَّمَاءِ الَّتي اخْتَصَرَتْ كُلَّ رَحِيقِ الدُّنْيا.

هَـا أَنْـتِ: أَثِـيرٌ مِـنْ نَشْـوَةِ الـرّوح في حُـدُودِ الجَسَـدِ الذَّاهِل، حَيْثُ تَنْشَعِبُ السَّمَاءُ عَلَى شَهْقةٍ مِنْ سَدِيم.

هَـا أَنْـتِ، آهِ، هَـا أَنْـتِ: فَضَـاءٌ مِـنْ رَعَشـاتٍ إِلَهِيّـةٍ، تَنَزَّلَتْ عَلَى وُجُودِي، فَأَخْرَجَتْهُ إِلَى الأَثِيرِ، وَٱنْدَاحَ فِيهِ الأَلَقُ، انْدَاحَتْ مُعْجزَاتُ الذُّهُولِ، انْدَاحَ الفَرَحُ الأَعْلَى، وَهُوَ يَنْشُدُ عَبْرَ حَنَاجِرِ الملائِكَةِ.

*****

أَكْتُبَ الآنَ سِفْرَ الجَسَدِ/

مِـنْ غُبَـارِ الـرّوح تَجَلَّيْـتِ، حِـيْنَ يَكُـونُ الغُبَـارُ عُنْـوانَ النُّشُـوء/ مِـنْ رَذَاذِ الطَّلْـعِ خَرَجْـتِ إلى كِيَـانِيَ المتَكَـوِّمِ في طِـينِ

الخَلْقِ – خَلَقْتِني جَسَدًا نابِضًا، عَامِرًا بالرّوحِ، وَٱنْعَجَنْتِ فِيَّ نَشْوَةً تَخْطِفُني إلى آفَاقِكِ المشَرَّعَةِ عَلَى المدى/

مِنْ غُبارِ الرّوحِ تَجَلّيْتِ، وَكُنْتُ في أَثِيرِكِ خَطْرَةً بَعِيدَةً، رَذَاذًا غُفْلًا/ كُنْتُ وَجْهَكِ الَّذي يَتَكوَّنُ وَهُوَ يُكوِّنُني. كُنْتُ صَداكِ الَّذي يَخْرجُ من صَخَبي فيكِ. كُنْتُ أَريجَكِ الَّذي يَفُوحُ مِنْ شَرَايينِ بَخُورِي وَلُبانِي. كُنْتُ عَيْنَيْكِ اللَتَيْنِ تَرَيانِ مِنْ خِلالِ عَيْنَيَّ/

وَأَنْتِ الجَسَدُ الَّذي يَشْهَقُ في أَعْمَاقِي، ويَجْعَلُني أَكْثَرَ صَلاةً وَأَشَدَّ انْخِطافًا إِلَيْكِ – إِلَيّ/

أَنْتِ الرّوحُ الَّتي تَنْبضُ في كِيَانِي برَوْعَةِ التَكْوينِ/ أَنْتِ القُوّةُ الَّتي تَجْبُلُ فيّ الحَياةَ/ أنتِ النَّفَسُ الَّذي يُحْيي،
العَيْنُ الَّتي تَرَى مِنْ عَلُ،
الصَوْتُ الَّذي يُرَنِّمُ مِنْ دَاخِل،

النَشْوَةُ الَّتي تُغْرِقُ الفِرْدَوْسَ بالطَّلْعِ/
وَأَنْتِ، آهِ، أَنْتِ
دُنْيَايَ الَّتي بِهَا أَكُونُ،
وَبِهَا أَكْتُبُ بَدْئي وَمُنتَهايَ،
وَمِنْهَا تُولَدُ القَصِيدَةُ
أَعْمَقَ مِنْ سِرٍّ،
وَأَرْوَعَ مِنْ حَيَاةٍ...

- ٣ -

أَكْتُبُ الآنَ سِفْرَ الجَسَدِ/

هَذَا ابْتِدائِي: وَأَنا رَسُولُكِ إلى أَبْجَدِيَّةِ التَّكْوين، أَحْمِلُ إِلَيْهِ أَلْوَانَكِ، وَرَائِحَتَكِ، وَبَرَكَةَ الحَرارةِ الَّتي تَسْري في تُرَابِهِ — هَذَا ابتِدَائِي، وَبَيْنَ الأَرْضِ وَبَيْنِي مَدَى رُؤْيتِكِ، حِينَ تَسْتَغْرِقُ في أَجْرَاسِ المطَرِ/

تَنْفَتِحينَ عَلَيَّ/ يَنْفَتِحُ جَسَدُكِ – يَتَكَوَّنُ:

سَاقَاكِ عَمُودَا الضَّوْءِ النّابعِ مِنَ الأَرْضِ، المْسِكِ بالسَمَاءِ، المتَأَجّجِ بَيْنَهُما،

جلْدُكِ سَهْلٌ مِنْ أَناشِيدَ تَلْثُمُ عُمْقَ التُّرابِ، تُحَرّكُ فيهِ الطَّلْعَ وَالجُذورَ، وَتَرْوي عَطَشَهُ الملْتَهِبَ،

ثَدْياكِ جُمُوحُ الكَوْنِ،

نَبْضُ الزَّمانِ المحْضِ، وَهُوَ يَسْحَبُ اللَحْظَةَ إِلَيْهِ، لِتَصِيرَ أبَدًا مِنْ نُورٍ،

شَهْقَتُكِ نَفَسُ الحَيَاةِ، وَهُوَ يُدخِلُ الرّوحَ إلى الجَسَد/ تَنْفَتِحينَ عَلَيّ/

وَجْهُكِ الآنَ حُقُولٌ مِنَ القَمْحِ الذَّهَبِيّ، يَشِعُّ بَيْنَ حَنايايَ، يُشْرِقُ عَلَيَّ جَسَدًا مِنَ الضَوْءِ وَهُوَ يَرْتَعِشُ/ وَجْهُكِ هَذِهِ المسَافَةُ الرّائِعَةُ بَيْنَ التَّوْقِ وَالوُصُولِ، بَيْنَ المْكِنِ وَالمحَالِ، بَيْنَ التَهَيُّؤِ وَالوُجُودِ/ وَجْهُكِ القِراءَةُ الأَخيرَةُ لسِفْرِ الجَسَدِ،

حِينَ يَصِيرُ الجَسَدُ حرُوفًا، وَالشَهْوَةُ مِدَادًا؛ حِينَ تَكْتُبُ الرَّعْشَةُ الخَارِجَةُ مِنْ شَهيقِ الذَّوَبانِ وَجْهَ القَصِيدَةِ، وَيَغْدو ذَوَبَانُنا فِينَا خَارِطَةَ التَّكْوين.

تَنْفَتِحِينَ عَلَيَّ/

وَمَداكِ الرَّحِيلُ إلى مُدُنِ الضَوْءِ، حَيْثُ ترْفَعُ الغَرابَةُ أَسْوارَها، وَلا يُقِيمُ إلّا الحَنينُ/ مَدَاكِ الوَجْدُ الخَارجُ مِنْ تَحَفُّزِ التَّوْقِ، الدّاخِلُ إلى شَهْوَةِ الإقامَةِ/ مَدَاكِ لَوْنُ التَّكْوينِ حِينَ يَسْتَقِرُّ في نُطْفَةٍ يَسَعُ فِيهَا الوُجودَ، أَوْ يَذوبُ في عَينَيَّ، رائِعًا كَالشَّهْوَةِ الملائِكِيَّةِ.

تَنْفَتِحِينَ عَلَيَّ/

وَأَنِينُكِ الذّائِبُ كَزَيتِ القِدّيسِينَ يَحْمِلُني إِلَيْهِ، يشُدُّنِي إلى أَصْقَاعٍ أَبْعَدَ مِنْ زَوَايا الموادِّ، وَأَوْسَعَ مِنِ ٱحْتِواءِ المسَافَةِ/ أَنِينُكِ الذّائِبُ رَنِينُ الرَّوْعَةِ، وَهُوَ يَسْتَحيلُ صَلاةً للرَّبِّ.

أَيَّتُها المـرْأَةُ الَّـتي تَخْتَصِـرُ قِصَّـةَ التَّكْـوين في ارتِعاشَـةٍ واحِدَةٍ،

أَيَّتُها الخَارِجَةُ مِنْ ضُلُوعِي لتَخُلُقَ ضُلُوعِي،

الخَارجَةُ مِنْ كِيَانِي لِتُوجِدَ كِيَانِي،

الخَارجَةُ مِنْ سَمْتِ حَياتي لِتَكونَ بهَا حَيَاتِي،

أَيَّتُها الخَالِقَةُ أَنَايَ، المخْلوقَةُ بي،

يَا قُبْلَـةَ الأبَـدِ حِـينَ يَصِـيرُ الأبَـدُ قَصِـيدةً تَنَـامُ في آبتِسامَكِ،

حِينَ تَصِيرُ السَّمَاءُ كُلُّها

لَفْظًا وَاحِدًا في ارْتِعاشِكِ السَّرْمَدِيّ.

الفصل الخامس:

سِفْر الجسد الثاني

- ١ -

يَنْهَلُّ عليَّ لُطْفُكِ مِنْ عَلُ كَأَنَّهُ صَلاةٌ، وَيُحْمِلُني إِلى عَلْيَائِهِ، يَمْسَحُ جَسَدي المهَيَّأَ بالزَيْتِ وَالبَخُورِ/

يَنهَلُّ عَلَيَّ لُطْفُكِ آياتٍ تَكْتُبُها يَدُ الأَلَقِ – أَلَقِي فِيكِ حِينَ يَنْفَتِحُ جَسَدُكِ عليَّ كَبابِ الفِرْدَوْسِ/ وَأَنْتِ النَّسِيمُ الَّذي يُعَلِّمُني أَنْ أَقْطِفَ الحَنَانَ مِنْ بَراريكِ المتَرَامِيَةِ/

يَنْهَلُّ عَلَيَّ نُورُكِ جَسَدًا يَتَذَوّقُني، لِيَتْرَفَ وَهُوَ جائِعٌ – وَأَنْتِ الحِسُّ الَّذي لا يَعْرِفُ الجُوعَ، أَنْتِ النّورُ الَّذي لا يَعْرِفُ الظُلْمَةَ، أَنْتِ ارْتِوَائِي وَزَهْوِي، يا امْرَأَةً تَحْمِلُ في جَسَدِها سِحْرَ الفِرْدَوْسِ، وَصَلاةَ الملائِكَةِ؛ يا أَنَايَ الحَاضِرَةَ حَتّى في غِيَابي.

يَنْهَلُّ عَلَيَّ صَوْتُكِ القَادِمُ مِنْ حَنَايا الجَسَدِ، نَازِلًا إِلَيَّ مِنْ نَشْوَتِهِ الغَامِضَةِ، يَشُدُّني، مَسْحُورًا، إلى نَارِ الذُّهُول. وَتَأْوِي إِلى تَحَلُّلِ جَسَدَيْنا في جَسَدَيْنا ضِحْكَاتُ القِدّيسينَ، وَهِيَ تَسْتَعْمِرُ الصَّمْتَ الأَبْيَضَ، تَأْوِي إِلَيْنَا رَعَشَاتُ العُلَى، حِينَ تَفِرُّ مِنِ ٱنْتِشاءَاتِ السَّدِيم.

تَنْهَلُّ عَلَيَّ شَفَتَاكِ، وَهُمَا تَرْشَحَانِ مِسْكًا وبَهَاءً، فَأَقْطِفُ مِنْهما ٱنْخِطافي، وَبِطَرَاوَتِهِما أُكَوِّنُ وَجْهِي مِنْكِ، حِينَ يَكُونُ أَلْطَفَ مِنْ نُورٍ، وَأَبْهَى مِنْ أَثِيرٍ...

تَنْهَلُّ عَلَيَّ شَفَتَاكِ، وَهُمَا تَقْتَرِفَانِ الصَّلاةَ، وَتَبْحَثانِ في شَفَتَيّ عَنْ إِلَهِهِما المخْتَبِئِ، يَا ٱمْرَأَةً تَكْتُبُ قَصِيدَةَ الجَسَدِ في خُشُوعِهَا المهيب،

يا امرأةَ التَّكْوين!

- ٢ -

أَهِيمُ في سِفْرِ الجَسَدِ/ أَقْطِفُ مِنْهُ جُنُونِي وَانْخِطَافِي.

عَيْنَاكِ مِرْآةٌ أَرَى فِيهَا ذَاتِي، وَهِيَ تَنْحَلُّ دُخَانًا — بَخُورًا يَلُفُّني برَائِحَةِ الرَّغْبَةِ العَارِمَةِ/ عَيْنَاكِ قَمَرانِ يَغْرَقانِ في بَرارِي الحُلْمِ، يَسْبَحَانِ في وُجُودِي كَالنَّشوةِ الأَثيرِيَّةِ/ عَيْنَاكِ بُحَيْرَتَانِ مِنْ شَبَقٍ مَلائِكِيٍّ، يَصْعَدُ إلى كِيَانِي، يُفتِّتُهُ، يُذِيبُهُ، وَيَسْتَحِمُّ في كَوْثرِه وَهُوَ يَضْحَكُ/ عَيْنَاكِ كِيَانِي يَشْهَقُ في شَبَقِهِ كَالرُوحِ الَّتي تَلْتَحِمُ بالجَسَدِ، كَهَديلِ اليَمامِ وَهُوَ يُحَلِّقُ في الأَعْلَى، أَوْ

كَغَمْغَمَةِ الملائِكَةِ

حِينَ تُرَتِّلُ لِرَبِّها/

عَيْنَاكِ تَخْتَصِرانِ تَارِيخَ الرَّغْبَةِ في نَظْرَةٍ خَضْرَاءَ وَاحِدَةٍ، تَقْطِفَانِ مِنْ حَدائقِ الفِرْدَوْسِ لَوْزَهُمَا، وَمِنْ سُهُولِ قَلْبِي مَا يَجْعَلُهُما أَكْثَرَ تَأَلُّقًا، وَتَبْسِمَانِ... تَبْسِمَانِ...

أوّاهُ،

أَيَّتُها المرْأَةُ الَّتي اخْتَصَرَتْ تَاريخَ الأَجْسَادِ في جَسَدٍ وَاحِدٍ يَشْهَقُ أَمَامِي، وَيَذوبُ عِطْرًا وَرِقَّةً،

أَيَّتُها المرْأَةُ الَّتي أَعْلَنَتِ الجَسَدَ مَمْلَكَةَ صَلاةٍ، وَتَأَوُّهَاتِهِ الرَقِّيقةَ قَصِيدةً يَغْوَى بهَا الأَبَدُ،

أَيَّتُهَا المرْأَةُ الَّتي كَوَّنَتْ مِنْ جَسَدِي أَفْلاكًا مِنَ الرَوْعَةِ، لأَنَّهَا شَاءَتْنِي، عَلَى شَاكِلَتِها، بَرِيقًا سَمَاوِيًّا يُضِيءُ الرُّؤْيا،

أَوّاهْ،

أَيَّتُهَا المرْأَةُ الَّتي لا تَعْرِفُ إِلاّ أَنْ تَلْبَسَني!

وَكُلَّمَا لَبَسَتْني أَعَادَتْ تَكْوِيني...

أَيَّتُها المرْأَةُ الَّتي تُشْرِقُ فيَّ

كُلَّمَا اخْتَرَقَتْ وُجُودِي عَتَمَةُ الزَمَانِ.

- ٣ -

أَهِيمُ في سِفْرِ الجَسَدِ/ أَقْطِفُ مِنْهُ جُنُونِي وَانْخِطافي.

كُلَّمَا لامَسْتُكِ حَلَّقَتْ رُوحِي فِي فَضاءٍ مِنَ الأَلْوَانِ، وَتَسَلّلَ إِلَيْكِ كِيَانِي، مُنْخَطِفًا، طَائِرًا بِلا جانِحٍ إِلَى أُفُقِكِ الضَوْئِيّ/

كُلَّمَا لامَسْتُكِ تَحَلَّلَ قَلْبِي فِي بُخَارِ النُّشُوءِ، وَاشْتَفَّ مِنْكِ رَوْعَةَ الحُلْمِ وَهُوَ يَكْسِرُ الوَاقِعَ، وَمَواكِبَ الصَلاةِ وَهِيَ تَتَراقَصُ فِي كَنِيسَةِ الوَهْجِ/

كُلَّمَا لامَسْتُكِ انْكَسَرْتُ وَانْعَجَنْتُ، وَذَابَ كِيَانِي فِي الرِّقّةِ الَّتِي تَمْتَصُّ الضِّيَاءَ، وَعَادَ إِلى رَحِمِكِ، لِأَخْرُجَ رَجُلًا آخَرَ/

كُلَّمَا لامَسْتُكِ ولَدْتِنِي – وَعَبْرَ الوِلادةِ سُهُولٌ مِنَ الأَلْوانِ، وَسَنابلُ لاهِثَةٌ مِنْ أَصْواتِ القِدّيسينَ تَشْتَعِلُ... تَشْتَعِلُ... حَتّى الغِيابِ.

وَأَنَا، في أُقْحُـوَانِ الـذُّهُولِ، شَـهْقَةٌ طَويلَـةٌ تَسِـيلُ عَلَـى صَـدْرِكِ الحَنُـونِ... تَسِـيلُ... تَسِـيلُ... لِتَعْلُـوَ بَخـورًا يَتَـبرَّكُ بجَسَدِكِ/

أَيَّتُهَا الذاهِلَةُ حَتّى السِحْر،
أَيَّتُهَا المَعْبُودَةُ العَاشِقَة،
لمـاذَا أَتَكَسَّـرُ كُلَّمَـا لامَسْـتِنِي، أَتَشَـظّى، وَأَضِـيعَ بَـيْنَ لُهَاثِكِ الخَمْرِيّ، أَسْكَرُ فيهِ، كَأَنَّني أَجْرَعُ رَحِيقَ الإِلَهِ؟
لماذَا أَتَكَسَّرُ كُلَّمَا لامَسْتِنِي كَالرَمَادِ، أَتَطَايَرُ في فَضَاءِ عَيْنَيْكِ، وَأَغِيبُ...؟/ وَإِنْ مَرَرْتُ يَدِي عَلَى سُهُولِ جَسَدِكِ عَادَتْ عَابقةً بعِطْرِ الزُهورِ، وَطَعْمَةِ الضَّوْءِ الرّاشِحِ مِنْ أَبْوابِ مَسَامِّكِ...؟

يَا أَنَايَ الخَارجَةَ مِنْ ضَمِيرِ اللهِ،
يا صِنْوي!

– ٤ –

أَهِيمُ في سِفْرِ الجَسَدِ/ أَقْطِفُ مِنْهُ جُنُونِي وَانْخِطَافِي.

تَنْمُو في قَرارَتِي بَرَاعِمُ النَّشْوَةِ/ تَكْبرُ سَنَابلُ الرَّعْشَةِ – أَعْجُنُها رَغِيفًا يُشْبعُني/ أَذُوقُ/ أَشْبَعُ/ أَرْحَلُ في الهُيامِ... حَتّى الغِيابِ/

لماذا

كُلَّمَا سَمَوْتُ إلى وَجْهِكِ الرَّائعِ أَضَعْتُ وَجْهي؟ وَكُلَّمَا ٱرْتَقَيْتُ إلى كِيَانِكِ الإلَهِيّ تَصَدَّعَ كِيانِي وَعَادَ بِكْرًا، كَالأَرْضِ، يَنْبُتُ فِيهِ العُشْبُ؟

لماذا

كُلَّمَا لامَسْتِنِي رَمَيْتِ فِيَّ احْتِراقًا جَدِيدًا، وَانْبعَاثًا جَديدًا؟ وَكُلَّمَا وَلَجَتْ عَيْنَاكِ خَلْفَ قِشْرةِ الجَسَدِ شَهَقَتْ رُوحِي مِنْ نَشْوةٍ، وَتَرَامَتْ خَلْفَ مَدَى الدُهُورِ؟

*****

هَذا سِفْرُ الجَسَد،

فَاخْتَرِقِي أَبْوَابي، وَاسْتَقِرّي حَيْثُ لا شَمْسَ، لا قَمَرَ، لا كِيَانَ... إلاّيَ!/ اخْتَرِقِي أَبْوَابي، وَفِيضِي فيّ كَمَا تَفِيضُ شَمْسُ الصَّيْفِ حَرارةً، وَكَمَا تَفِيضُ ذَاتُ الخَالِقِ رَوْعةً/

هَذا سِفْرُ الجَسَدِ،

فَاخْرُجي إِلَيَّ مِنْ بُخَارِ النُّشُوءِ: يَخْرجُ مِنْ مَسَامّكِ البَخُورُ، وَنُورُ الأَلَقِ/ تَخْرُجُ مِنْ عيْنَيْكِ اللَوْزِيّتَيْنِ حُقُولُ الأَلْوَان، وَمَهْرَجَانُ البَرِيقِ/ تَخْرجُ مِنْ شَفَتَيْكِ قَصِيدَةُ التَّكْوين/

وَفي فَجْرِكِ الرّائِعِ لَوْنُ النُّشُوء/ في أَهْدَابِكِ حَدَائقُ الوَلَهِ/ في شَهِيقِكِ الرَّقيقِ كَنِيسَةُ النَّشْوَةِ/ في سُرَّتِكِ نُسْغُ الحَيَاةِ/ وَعَلَى خَارِطَةِ جَسَدِكِ حُدودُ الفِرْدَوْسِ، وَمَلَكوتُ المكَانِ/

فَاهْدَإِي

وَاخْتَرِقِـي أَبْـوَابِي كَالعَاصِـفَةِ المْحِيَـة، وَاسْـتَكِينِي فِيَّ، يَا ٱمْرَأَةً تُعَشِّـشُ النُجُومُ فِي شَعْرِها، وتَسْكُنُ النَهَـاراتُ فِي مَسَـامِّ جَسَـدِها، وَيَنـامُ الأبَدُ كَالطِفْلِ على صَدْرِها/ اخْتَرِقِي أَبْـوَابِي، وَازْرَعِي فِي أَعْمَـاقِي دَوَالِيَ الرِقَّةِ، وَتُفّـاحَ الوَجْـدِ، وَلُمِّي بَعْضِـي عَلَى بَعْضِي أَتَهَيَّأْ لِكَونِيَ الجَدِيدِ، وَأَمْتَلِئُ بنُورِكِ.

*****

هَذا سِفْرُ الجَسَدِ،

فَكُونِي قَصِيدةَ الرَّغْبَةِ الضَّوْئِيَّةِ، شَعْرُكِ مِدَادُها، وَعَيْنَاكِ حُرُوفُهـا، وَشَـفَتَاكِ إِيقَاعُهـا الـدّافِقُ، وَسَـاقَاكِ سُـهُولُ الكَـلامِ البِكْرِ يَلْعَبُ فِي مَجَالِ الانخِطَافِ،

أَوّاهْ،

أَيَّتُهَا المرْأَةُ الَّتي تَكْتُبُني آخِرَ قَصِيدةٍ تَنْطِقُ بِهَا شَفَتا الأَبَدِ، وَآخِرَ حَرْفٍ مِنْ نُورٍ يَسْطَعُ في سَمْتِ الفِرْدَوْسِ/

أَوّاهْ،

لا وَجْهَ لِي،

لا كِيَانَ، لا جَسَدَ...

وَمَعَ ذَلِكَ تَتَقَرَّيْنَني حَرْفًا حَرْفًا، وَتَكتُبينَ بجَسَدِي قِصَّةَ التَّكْوينِ، وَتاريخَ النُشُوءِ، وَأَكْتُبُ في ثنايَا جَسَدِكِ المشْرِقِ جُنُونَ الحُلْمِ الَّذي يَسَعُ الملَكُوت،

يا امْرَأَةَ التَّكْوين،

أَيَّتُها المرْأَةُ الَّتي تَقْطِفُ الأَبَدَ

في كُلِّ شَهْقةٍ مِنْ قَصِيدَتِها النُورانِيَّةِ.

الفصل السادس:

سفر النَّشوة

- ١ -

تَسْتَعْمِرُ الشَّهْوةُ روحِي، وتَسجُدُ عِنْدَ مَعبدِكِ المرمَرِيّ،

فَأَنْزِلِي إِلَيْها مِنْ فَوقُ، وَهَدْهِدي في جَسَدي مَواضِعَ الحَنِينِ الصّافِي تَستَيْقِظْ فِيهِ مَعالِمُ الأَلَقِ، وَيَسْتَقِرَّ عَلى نُورٍ...

تَعالَيْ نَذُبْ فِي مَعبَدِ جَسَدِكِ، فنَتَذَوَّقَ مَعًا رَحيقَ الشَّهْوَةِ، حِينَ تَنْعَصِرُ فِي خَوَابِي الآلِهَةِ، وَنَنْزِلَ فِي جَسَدَيْنَا مِنْ فَوْقُ، كَالرَحيقِ السَمَاوِيّ الَّذي يُسْكِرُ الوَعْيَ.

تَعالَيْ نَنْكَسِرْ خُبْزًا فِي ذَبيحَةِ النَّشوَةِ، فَنَتَواصَلَ حَتّى الغِيابِ، ونَغيبَ فِي امتِدادتِ اللهِ، داخِلَ غَاباتِا ذَواتِنا.

تَعالَيْ إِلَيّ، يا امرَأَةَ التَكوينِ، أَصِرْ فِيكِ لُهاثًا يَلْتَمِعُ عَلى سَريرِ الأثيرِ، فِي وَلِيمةٍ أَبْعَدَ مِنْ وَلائِمِ الدُّنْيَا، وأَطْيَبَ مِنْ كُلِّ مُشْتَهَياتِ البَشَرِ في طَبيعَةِ الأَرْضِ.

جسدَكِ، جَسَدَكِ، فَأَصْنَعَ مِنْهُ عَوالِمَ لِلنورِ، وَأَفْتَحَ بِهِ أَبْوابَ الصَّفاءِ، وَأَلْتَحِفَ سَناهُ، فلا أَعْرَى بَعْدُ، ولا يَكونُ لي جَسَدٌ سِواهُ.

جَسَدَكِ، جَسَدَكِ، فَأَعُبَّ النُورَ مِنْ يَنابيعِ السَديمِ البَعيدِ، وَأُضِيءَ حَنايا رُوحِي لأَعْثُرَ فِيها عَلَيْكِ...

جَسَدَكِ، آهِ، جَسَدَكِ، فَأَنْداحَ فِيهِ مِثْلَ الرَّذاذِ الهامِسِ، أَوْ أَنْقَطِفَ ثِمارًا رَائِعَةً لِوَحْيِ الآلِهَةِ السَرْمَدِيِّ.

أَيَّتُها المثيرَةُ... كَإِكْسِيرِ الخُلُودِ،

أَيَّتُها المتَعالِيَةُ فِي أَثْناءِ جَسَدِي، كَرائِحَةِ الجِنْسِ المقَدَّسِ،

يا صَلاةَ الإِثارَةِ وَهِيَ أَكْثَرُ إِثارَةً مِنْ جُمُوحِ الآلِهَة!

– ٢ –

تَسْتَعْمِرُ الشَّهْوَةُ رُوحِي، وَتَسْجُدُ عِنْدَ مَعْبَدِكِ المرمَرِيّ.

هَاكِ كِيانِي نُقِمْ فِيهِ بُرْجًا لِلتَوَحُّدِ، ونَتَمَلَّ فِيهِ مِنْ رَشْحِ الأُلُوهَةِ عَبْرَ مَسامِّ جِلْدِكِ. وَمَتى ٱنْدَاحَ عَلَيْكِ، مُتَعالِيًا كَالبَخورِ، سَكَبْتِ فِيهِ، مِنْ ذاتِكِ، مَا يَجْعَلُهُ أَكْثَرَ تأَلُّقًا مِنَ الغِبْطَةِ.

هاكِ ذاتِي فَنَسْكُنَ فِيها، ونَسْجُدَ عَلى أَرْضِ الأَلَقِ.

هاكِ جَسَدِي فنُصَلِّيَ فِيهِ، كَما لَمْ يُصَلِّ مُؤْمِنانِ مِنْ قَبْلُ...

وعِنْدَمَا يَطِيرُ بنَا الذُهُولُ، نَغرَقُ في بَحُورِ النَشْوَةِ، لِتَحْمِلَنا إلى أَثِيرِ الفِرْدَوْسِ، حَيثُ غابَاتُ عَيْنَيكِ كِتابٌ لِلصَلاةِ...

لُهاثٌ... لُهاثٌ...

لُهاثٌ مِنْ نُورٍ فِي صَلَواتِ الشَبَقِ/ لُهاثٌ أَبْعَدُ مِنْ سَنا الفَجْرِ، وأَعْمَقُ مِنْ تَرْنِيمَةِ الأَبَدِ حِينَ يَسْجُدُ في وَجْهِكِ الصَافِي/ لُهاثٌ... لُهاثٌ... كَأَنَّ بَيْنَ الزَفْرَةِ وَالزَفْرَةِ عالَمًا مِنِ ٱنْخِطافٍ، وَارتِعاشَاتٍ أَعْمَقَ مِنَ الملَكوتِ/ لُهاثٌ... لُهاثٌ... لِتَنْهَضَ روحِي نَحْوَ روحِكِ، وَتَغرَقَ مَعَها فِي نَشْوَةِ الأَثيرِ...

لُهاثٌ... لُهاثٌ...

لُهاثٌ مِنْ نُورٍ، وَوَجْدٍ، وَصلاةٍ، يَسْحَقُ العالَمَ، وَيَعْصُرُهُ فِي مِحْبَرَةِ الجَسَدِ، لِيَكْتُبَ الأَنِينَ قَصيدَةً لا حَدَّ لَهَا، ولا نِهايَةَ...

وَبَيْنَ ارتِعاشَةِ التَعَبِ وارتِعاشَةِ التَعبِ، آلافُ الكَواكِبِ والمجَرّاتِ، وَمَلايينُ القَصائِدِ الَّتي تُهِيلُ الوَرْدَ عَلَى سَرِيرِ الغِبْطَةِ، يا ٱمرأَةَ التكْوِينِ...

- ٣ -

تَسْتَعْمِرُ الشَّهْوَةُ رُوحِي، وَتَسْجُدُ عِنْدَ مَعْبَدِكِ المرْمَرِيّ...

فَٱرْحَلِي فِيَّ، كَمَا يَسيلُ الدَّمُ عَبْرَ النَبْضِ، وَانْزَلِقِي كَعِشْقِ الحِبْرِ لِحروفِ القَصِيدَةِ، حِينَ يَكْتُبُ الكِيَانُ ذاتَهُ عَلَى صَفَحاتِ الأَثيرِ...

وعِنْدَما تَأْتِينَ أَعْماقِي مِنْ خَلْفِ الجِهاتِ كُلِّهَا، أُهَلِّلُ لِعَيْنيكِ النابضَتَيْنِ مِنْ عِلُوِّ السَّماءِ، وَلِيَدَيْكِ الماسِحَتَيْنِ كِياناتِ المدَى بغِبْطَةِ الدُهورِ.

هَاكِ دَمي، فَٱرحَلِي، آهِ، ارْحَلي...

وَلْتَكُنْ مِنْكِ، بَيْنِ الرِّحْلَةِ والرِّحْلَةِ، مَلايينُ التَكاوِينِ فِي دُنْيَواتِ الشِّعْرِ، ومَلايينُ الحُروفِ الَّتي تُعِيدُ ٱبتِكارَ أَبْجَدِيّةِ الأَبَدِ...

هاكِ دَمِي، فَٱرحَلِي...

وَلْتَكُنْ شَهَقاتُنَا سَفينَةً إِلَى العالَمِ الآخَرِ، ومَسْرَحَ ضِياءٍ لِلعُبورِ: فِي كُلِّ شَهْقَةٍ آلافُ الخَلائِقِ، وَفِي كُلِّ ٱرتِعاشَةٍ أَلْفٌ مِنْ كَلِماتِ التَّكْوينِ...

هاكِ دَمي، فَٱرحَلِي...

وَاسْتَعْمِرِي هَذا الجَسَدَ المُرْتَعِشَ، هَذا اللُّهاثَ النّابضَ بتُفّاحِ الفِرْدَوْسِ، يا لَوْنَ البَخُورِ الَّذي تُصَعِّدُهُ أَصْواتُ

الملائكة، يا أَنِينَ الصَّلَواتِ العَميقَ، وَهِيَ تَمْسَحُ جُرْحَ الكَوْنِ بِإِكْسِيرِ الحَيَاةِ.

هاكِ دَمِي، فَٱرحَلِي...

وَلْيَتَقَدَّسْ بِكِ كِيانِي، كأَنَّهُ يَسْجُدُ تَحْتَ أَجْراسِ الرَّغْبَةِ/ كَأَنَّهُ يَتلاشَى عَبْرَ زَبَدِ الذُّهُولِ السَّحيقِ...

لَيَداكِ تُبَلْسِمَانِ جُرْحَ التَّكْوينِ العَمِيقِ.
لَشَهِيقُكِ الأَثِيرِيُّ آهَةُ الرَبِّ، وَهُوَ يَشْهَدُ لِرَوْعَةِ مَا كَوَّنَتْ يَداهُ.
لَشَهْوَتُكِ المصَلِّيَةُ سِرُّ الحُبِّ عنْدَما فَاضَ التَّكْوينُ...

وَفِي عَيْنَيْكِ أَسْرارُ الفَرَحِ/ فِي عَيْنَيْكِ أَلْغازُ اللَوْنِ/ فِي عَيْنَيْكِ غَاباتُ الوَعْرِ الضَوْئِيِّ، وَهوَ يَسْحَبُ روحِي نَحْوَهُ تَحْتَ سَمَاءِ الجَسَدِ...

أَيَّتُها الخارِجَةُ مِنْ حَناجِرِ الآلِهَةِ، لِتَرُدَّ التَّرانِيمَ إِلَى سَمَواتِ الفِرْدَوْسِ،

أَيَّتُها الواحِدَةُ المشْتَعِلَةُ كَالعِشْقِ إِذْ يَصِيرُ روحًا للصَلاةِ،

يا ٱمْرَأَةَ التَّكْوينِ.

– ٤ –

هذا فَجْرُ الجَسَدِ.

فَخُذِي روحِي إِلَيْكِ، وَٱكْسِرِي جَسَدِي، وَٱنْكَسِرِي فِيهِ قُرْبانًا، وَٱجْعَلِي اللُّهاثَ مَشاعِلَ تُحْرِقُ دُجُنّاتِ المدى، وَتُرْسِلُ السَّنَا في الجِهاتِ الأَقَاصِي، حَيْثُ صَدَّعَتِ الهَوْلَ آيَاتُ الخَلاصِ.

خُذي روحِي إِلَيْكِ، وَلْيَكُنِ الجَسَدُ وَلِيمةَ الصَّلاةِ، وَالشَّهْوَةُ أَبْجَدِيّةَ الجنْسِ المصَلّي...

خُذي رُوحي إِلَيْكِ – خُذيني...

وَلْيَكُنْ جسَدِي مِحْرابِكِ، وَروحِي فِرْدَوْسَكِ/ لِتَكُنِ آرتِعاشاتُكِ طَريقي إِلَى شُعْلَةِ الفِرْدَوْسِ المسْتَعادِ...

ها كِيانِي يَذوبُ فيكِ، لِيَنْعَصِرَ لَمْعةً فِي عَيْنَيْكِ الإِلَهِيّتَيْنِ،

ها روحِي تَفْتَرِشُ روحَكِ، وَتَنْعَجِنُ فِي كِيانِكِ أَفْلاكًا مِنْ نُورٍ،

ها حَرْفِي يَخْرُجُ مِنْ فَمِكِ صَلاةً لِلتَكْوينِ، وَقَلْبي يُهْرَقُ عَلى مَذْبَحِكِ الفِرْدَوْسِيّ، مَغفِرَةً لكُلِّ الخَطايا...

ها أَنَا صاعِدٌ إِلَيْكِ فِي بَخورِ الجَسَدِ – في الجَسَدِ البَخورِ الَّذي يَفوحُ فِي أَرْجاءِ المقَدَّسِ...

وَبَيْنَ الشَهْقَةِ وَالشَهْقَةِ،
بَيْنَ الآهِ والآهِ،
كُلُّ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَقولَهُ الآلِهَةُ،
وكُلُّ مَعانِي الخَلْقِ فِي الأَبَدِ البَعيدِ،
يا ٱمْرَأَةَ التَّكْوينِ...

الفصل السّابع:

سِفْر يَسُوع

- ١ -

لماذَا

كُلَّمَا نَظَرْتُ إلى عَيْنَيْكِ اللَوْزِيَّتَيْنِ رَأَيْتُهُ؟ وَفَاضَ مِنْكِ عَبيرُهُ وَسَنا الخَلْقِ، يَا أَلَقًا يَحْتَوِي السَّمَاءَ في لَمْعَةٍ وَحِيدَةٍ، يا تَجَلّيَ "الكَلِمَةِ" في فِعْلِ التَّكْوينِ؟

لماذَا

كُلَّمَا لامَسْتُكِ تَضَوَّعَ مِنْكِ زَيْتُهُ المقَدَّسُ، وَلامَسَتْ رُوحِي نَظَرَاتِهِ الإِلَهِيَّةَ، وَرَأَيْتُهُ في مَلْمَسِكِ، رَاحِلاً عَبْرَ الحِسِّ، يُبارِكُ ذُهُولِي، وَيُخْرِجُ رُوحِي إِلَى شَمْسِهِ الرَّائِعَة؟

وَأَنْتِ،

يا جُـرْحَ التَّجَلّي حِـينَ يَصِـيرُ انْبِثاقًـا لِـ "الكَلِمَـةِ"، يا إِكْسِيرَ الخُلُودِ في هَشاشَةِ العَالَمِ المصَدَّعِ، أَنْتِ يا اَنْبِلاجَ الرَّوْعَةِ مِـنْ أُقْحُـوَانِ الشَّـهْوَةِ، تَلُمّـينَ أَعْضَـائِي "عَلَيْـهِ" عُضْـوًا عُضْـوًا، وَتَجْمَعِينَهَا فِيكِ، بَابًا وَحِيدًا يُعَبِّدُ طَرِيقَ الأَثيرِ...

آهِ، أَنْتِ،

يَا وَجْهَهُ وَهُوَ يُكَوِّنُ الأَبَدَ بكَلِمَةٍ، يَا عَظَمَتَهُ وَهُوَ يُرِيقُ دَمَهُ لِتُزْهِرَ بِـ "عَهْدِهِ" الحَيَاةُ، أَنْتِ يا صَمْتَهُ الجَبّارَ حِينَ يُرْعِشُ الزَّمـانَ، تَنـامِينَ على كَـائِنِي، كَـالزَهْرةِ الوَحِيـدَة، تُكَـوِّنينَ كَـائِنِي بِالأَلَقِ وَالبَخُورِ، وَتَنزلينَ إِلَى مِعْرَاجيَ السَحِيقِ، كَخَيْطِ النُّورِ، مِنْ عَلُ.

فَيَا امْرَأَةَ التَّكْوينِ،

يَا وَجْهَ "الَّذي هُوَ" وَهُوَ يَقْبضُ بيَمِينِهِ عَلَى المكَانِ، وَبيَسَارِهِ يَصْنَعُ الزَّمَنَ، كُونِي خَشَبَتِي أَرْتَفِعْ بهَا فَوْقَ جُلْجُلَةِ الأَرْضِ، وَأَبْلُغْ تَعَارِيجَ العُلَى.

*****

لماذَا

كُلَّمَا نَظَرْتُ إلى عَيْنَيْكِ اللَوْزِيّتَيْنِ رَأيْتُهُ؟ وَكُلَّمَا غَابَتْ يَدِي في بَرَاري شَعْرِكِ المنْسَدِلِ تَسَلَّلَ إِلَيَّ مِنْهَا الألَقُ، وَتَضَوَّعَ فِيَّ البَخُورُ؟ لماذا كُلَّمَا ٱنْكَسَرْتُ فِيكِ وُلِدْتُ، وَكُلَّمَا ٱحْتَرَقْتُ ٱنبَثَقْتُ، وَكُلَّمَا رَنَوْتُ إلى خُشُوعِكِ المذْهِلِ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَقْرَأَ آيَاتِه الرَائِعَاتِ، لأَطِيرَ بهَا إِلَى فِرْدَوْسِ حُضُورِكِ —

أَنْتِ الأَلِفُ،

وَبالأَلِفِ تَسَمَّتِ الأَشْيَاءُ،

بالأَلِفِ بَدَأتِ "الكَلِمَةُ" تَرْسُمُ حُرُوفَهَا، عَلى صَفْحَةِ الكَوْنِ الغُفْلِ، وَتَتَشَقَّقُ، لِتَصيرَ أَحْرُفًا تُعْلِنُ الأَشْيَاءَ —

أَنْتِ الأَلِفُ
يا ٱمْرَأَةَ التَّكْوين/
أَنْتِ اليَاءُ،
وَباليَاءِ تَمَّتِ "الكَلِمَةُ"، وَاكْتَمَلَتْ نِعْمَةُ الرُّؤْيا. بِاليَاءِ اكْتَمَلْتِ، وَرَأَيْتُهُ فِيكِ – رَأَيْتُكِ فِيَّ/ لَمْ يَعُدْ فِيّ سِوَاكِ – أَنْتِ نِعْمَةُ الامْتِلاءِ، عِنْدَما أَرْقَى في مِعْرَاجِ الوَجْدِ. أَنْتِ الأَلِفُ وَاليَاءُ، مِثْلَهُ، يا ٱمْرَأَةَ التَّكْوينِ.

– ٢ –

أَسْجُدُ في فِرْدَوْسِ عَيْنَيْكِ،

أُمَارسُ صَلاةَ الوَجْدِ في شَبَقِ العِبَادَةِ، وبَخورِ العِشْقِ/ أَقْطِفُ ثِمَارَ اللَذَّةِ، وَتُفّاحَ الرَّوْعَةِ، يا رَائِحَةَ الصَّلاةِ في بَنَفْسَجِ الشَّهْوَةِ، يا ٱمْرأَةً تَغْزِلُ النُّجُومَ بريقًا لِعَيْنَيْهَا، وتَنْسُجُ السُهُولَ شَالًا لِكَتِفَيْهَا، وَتَحُوكُ اليَنَابيعَ أُنْشُوطَةً لِشَعْرِهَا/

أَسْجُدُ في فِرْدَوْسِ عَيْنَيْكِ،

أُشَـرّعُ فِيهَـا رُوحِـي، لِيَلِجَهـا نُـورُهُ/ أُشْـرِقُ بـهِ/ أَرَاهُ يُبَارِكُكِ في العَذابِ المطَهِّرِ/ أَرَاهُ يَرْفَعُكِ في الحِرْمَانِ المصَفّي/ وَمِـنْ نِعْمَتِـهِ تُبَلْسِـمِينَ العَـالَمَ، تُفَتّحِـينَ في قَلْـبي ثِمَـارَ الوَجْـدِ، وَيَنابيعَ الخَلْقِ؛ تُخْرِجِينَ مِنْهُ شَقائِقَ اللَذَّةِ، وَرَبيعَ الاكْتِشَافِ – أَكْتَشِـفُكِ/ أَنْكَشِـفُ لَـكِ – تَنْكَشِـفِينَ لِقَلْـبِيَ العَـاري تَحْـتَ سَيْلِ الضَّـوْءِ/ أَرَاهُ في ضَـوْئِكِ الفـائِضِ عَلَـيَّ أَرْوَعَ مِـنْ حُلْـمٍ، وَأَقْـوَى مِـنْ بَريقٍ/ أَرَاهُ في ٱلْتِفَاتِكِ الْمُدْهِشِ أَبْهَى مِنْ شَـوْقٍ/ أَرَاهُ في صَـوْتِكِ الرَّقِيـقِ كَأَلْحَـانِ الملائِكَـةِ/ أَرَاهُ في شَـهْقَتِكِ النَّاعِمَةِ كَقُوَّةِ الخَلْقِ/ أَرَاهُ في بَسْمَتِكِ الهَارِبَةِ كَأَمْدَاءِ الزَّمَانِ/

وَبِكِ أَرْقَى إِلَيْهِ،

بِكِ أَسْتَقْبلُ النُّورَ في مِعْراجيَ المفْتُوحِ/ يَا ٱمْرَأَةً تَخْتَرِقُ كُلَّ الجِهَاتِ، يا ٱمْرَأَةً تَبَارَكَ فِيهَا الزَّمَانُ وَالمكَانُ، وَٱنْعَصَرَتِ الرُّؤَى، كُلُّهَا، في نَظْرَةٍ يَتِيمَةٍ مِنْ عَيْنَيْهَا...

يا ٱمْرَأَةَ الطُّهْرِ في لَذّتِهَا الجَامِحَةِ،
يا ٱمْرَأَةَ الصَّلاةِ في شَهْوَتِها المحْرِقَةِ،
يا ٱمْرَأَةَ الغِبْطَةِ في سُكُونِها المهِيب...

بِكِ أَرْقَى إِلَيْهِ/ أَسْتَقْبلُ وَجْهَهُ"لِيُشْرِقَ في كِيَانِي/ أَسْتَقْبلُ الفَرَحَ، حَتّى في دُمُوعِ عَيْنَيْكِ اللَوْزِيَّتَيْنِ، حِينَ تُكَوْكِبانِ الخِصْبَ في إِشْراقِهِما/ أَسْتَقْبلُ وَجْهَكِ وَهُوَ يُشْرِقُ عَلَيَّ مِنْ عَلُ، كَمَطَرِ الحَيَاةِ.

*****

أَسْجُدُ في فِرْدَوْسِ عَيْنَيْكِ،

فَٱنْزِلِي دائِمًا إلى مَسَامِّ رُوحِي، وَٱفْتَحِي أَمَامَ خَطْوِي دَرْبَ "الَّذي هُوَ"، وَأَنَا أَخْطُو نَحْوَكِ – أَتَبَارَكُ بِخَطَوَاتِكِ، يا قَمْحَ الأَمَانِي/ انْزِلِي إلى مَسَامِّ رُوحِي تَتَعَمَّدْ بِكَوْثَرِ مَجِيئِكِ، يا حُلْمًا صَقِيعِيًّا أَوْسَعَ مِنَ السَديمِ/ انْزِلِي إلى مَسَامِّ رُوحِي أَكْتَشِفْ رَوْعَتَهُ وَهُوَ يُطِلُّ عَلَيْنا عَبْرَ كَائِنِكِ الهَائِلِ. وَإِذَا ٱجْتَمَعَتِ الجِهَاتُ في قَرارَتِي، وَٱسْتَقَامَ الزَّمَانُ عَالِيًا كَالرِمْحِ، عَرَفْتُ أَنَّ رُوحَكِ أَيْنَعَتْ فِيَّ جهَاتٍ وَكَوْنًا، وَأَنَّ حِبْرَكِ الإِلَهِيَّ يَنْدَلِقُ عَلَى أَوْراقِي وَحْيًا حُرُوفُهُ التَّاريخُ، وَضَوْعُهُ السَّمَاءُ، يا ٱمْرَأَةَ التَّكْوينِ.

– ٣ –

كَيْفَ أَخْرُجُ مِنْ مَلَكوتِ عَيْنَيْكِ وَهُوَ يَسْكُنُ رُوحِي كَأَلَقِ السَّماء؟ كَيْفَ لا أَنْسُجُ مِنْ عَيْنَيْكِ رُوحًا أُخْرَى في رُوحِي، أَبْعَدَ مِنَ الزَّمَانِ وَالمكَانِ؛ وَمِنْهُمَا أَتَوَحّدُ، أَذوبُ في "الَّذي هُوَ"، أَسْتَلْهِمُ النُّورَ، وَرائِحَةَ الحَيَاةِ، وَإِعْصَارَ الفَرَحِ؟

كَيْفَ أَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْكِ وَأَنَا فِيهِمَا كُلُّ هَذِهِ الغِبْطَةِ، وَكُلُّ كُلُّ هَذا الخَلْقِ؟

يَا مَعْبَدِيَ الهَائِلَ الطَّالِعَ مِنْ سَديمِ العُلَى، أَرْكَعُ فِيكِ وَحَوْلَكِ، أَزْرَعُ مِيثاقِي، وَأَغْرِسُ مِهْرَجَانَ الزَّهْوِ الَّذي يَقْتَلِعُ كَائِنِي مِنْ رُكَامِهِ الخَاوِي —

آهِ، أَرْقَى إِلَيْكِ...

وَأَنْتِ السُلَّمُ الضَّوْئِيُّ الَّذي يُعَلِّمُني الصُعُودَ.

أَرْقَى إِلَيْكِ، كَالبَخُورِ الطّالِعِ مِنْ قَلْبِ الأَرْض، مُصَلِّيًا لَكِ، يَا وَجْهَهُ الَّذي يُعَلِّمُنِي الصَّلاةَ، يَا نَشْوَةَ الجَسَدِ حِينَ يَصِيرُ نِبْرَاسًا للرُّوحِ/ أَرْقَى إِلَيْكِ، وَفِيكِ أَجِدُ كَائِنِي أَكْثَرَ ٱلْتِمَاعًا مِنْ أَهَازِيجِ الشَمْسِ، وَغِنَاءِ النُّجُومِ، يَا ٱلَّتي دَلَّتْ شَعْرَها إِلَى الأَرْضِ لِتَجْرِيَ فِيهَا اليَنَابيعُ وَيَظْهرَ الطَلْعُ/ أَرْقَى إِلَيْكِ، وَأَعْتَصِمُ بكَائِنِكِ، خَوْفًا مِنَ الوَحْدَةِ —كُلُّ ٱمْتِلاءٍ مِنْ غَيْرِكِ وَحْدَةٌ. كُلُّ زِحَامٍ مِنْ غَيْرِكِ وَحْدَةٌ... وَأَنْتِ الصَّدَى،

أَنْتِ الصَوْتُ/ أَنْتِ النَشِيدُ النَازِلُ مِنْ مِعْراجِ "الَّذي هُوَ"/ أَنْتِ رَجْعُ الصَّلاةِ في المعْبَدِ السَّمَاوِيّ/ أَنْتِ نَشِيدُ الملائكةِ تَهْزَجُ في الأَثِيرِ/ أَنْتِ تَجَلّي "الكَلِمَةِ" حِينَ تُخْرِجُ مِنْ وَاحِدِها كَائِنًا بعُمْقِ الوُجُودِ/

أَوّاهْ،

أَرْقَى إِلَيْكِ لِأَلْمُسَ وَجْهَكِ الطَّافِحَ رُؤًى، وَأَحْضُنَ ظِلَّكِ الَّذي يُعانِقُ وَجْهَهُ حِينَ يَنْظُرُ صَوْبَ حُطامِي فيُحْييهِ/ أَرْقَى إِلَيْكِ لِأَتَعَلّمَ مِنْكِ فَرَحَ المفاجَأَةِ، وَعُمْقَ النَّشْوَةِ، وَقُوّةَ الشَغَفِ.

وَحِينَ أَنامُ دَاخِلَ صَوْمَعَتِكِ الإِلَهِيّةِ،
أَعْرِفُ أَنّي أُعَانِقُ وَجْهَ رَبّي،
وَأَنّي احْتَوَيْتُ غِبْطَةَ الفِرْدَوْسِ.

*****

يَا "وَجْهَهُ" الطّاَفِحَ أُلُوهَةً حِينَ يَبْتَسِمُ لِرُوحِي،
يَا "صَوْتَهُ" حِينَ يُمْطِرُ عَلَيَّ البَرَكَةَ كَرَذَاذِ النّورِ...

الفصل الثامن:

سِفر الصلاة

- ١ -

أَسْتَسْلِمُ لَكِ، لِلُهاثِكِ الهَادِئِ، يا ٱمْرَأَةً كَالصَلاةِ،

فَٱنْحَدِري إِلَيَّ، كَالغَيْمِ الهَابطِ مِنْ قِمَمِ الجِبَالِ، وَمُرّي عَلَى التَّكْوينِ كَالنَسَمِ العَابقِ بالنُورِ، مُرّي عَلَيَّ كَالبَخُورِ المُنْهَلِّ فَوْقَ هَالاتِ القِدّيسينَ، مُرّي عَلَى وَجْهِي كَمَا يَمْسَحُ الزَّيْتُ المقَدَّسُ آلامَ المنْكُوبينَ،

يَا ٱمْرَأَةً كَالصَلاةِ...

عُمْري أَيْقُونَةٌ تَلْثُمُ خَطْوَكِ الوَئِيدَ، في بَرَاري الزَّهْوِ العَمِيقِ/ وَأَنْتِ السُّطُوعُ الهَاتِفُ مِنْ غُيُومِ النُورِ/ أَنْتِ العَبيرُ

الأَثيرِيُّ الَّذي يُوَشِّحُ زَهْوي، وَيَسْتَغرِقُ في تَكَاوِيني، يَنْحَلُّ... يَنْحَلُّ في كُلِّ خَلايَاي...

أَسْتَسْلِمُ لَكِ، وَفي شَعْرِكِ المنْسَدِلِ زَفَراتُ التَّكْوينِ، وَأَلْفُ أَلْفُ حِكايةٍ مِنْ حِكَايَاتِ العُلَى، تَتَنَزَّلُ صَوتَهُ في سُلّمِ الأَصْواتِ الأَثيرِيَّةِ، وهي تُمَجّدُ فِعْلَ الخَلْقِ/ في شَعْرِكِ المنسَدِلِ كُلُّ تَوارِيخِ النُجومِ الَّتي ٱجْتَمَعَتْ لتَسْتَغْرِقَ فِيكِ، تُسْدِلُ في تَوَهُّجِكِ الشَّمْسِيِّ تَراتِيلَها الممَجِّدَةِ/ في شَعْرِكِ المنسَدِل تَارِيخُ الرِّقَّةِ، وَكُلُّ أَزْمِنَةِ الحَنَانِ... فَأَنْزِلِي إلى أَرْضِي، وَٱسْتَنْبِتِي عَالَمِي نُجُومًا، وَتَرَانِيمَ، وَصَلَوَاتٍ، وَمُرّي يَدَكِ عَلَى وَجْهِي يَأْلَقْ بِكِ/ مُرّي يَدَكِ عَلَى كِيَانِي يَنْبضْ بالضَّوْءِ/ مُرّي، آهِ، مُرّي نَظَرَكِ فَوْقَ زَهْوِي يَتَفَجَّرْ غِبْطةً مُتَصَاعِدَةً مِنْ عُمْقِ الفِرْدَوْسِ،

يَا ٱمْرَأَةُ كَالصَلاةِ...

أَسْتَسْلِمُ لَكِ، وَفي كِيَانِي يَطْلُعُ فَجْرُكِ المبَشّرُ بالأَلَقِ: كُلُّ عُضْوٍ فِيكِ تُفّاحٌ فِرْدَوْسِيٌّ. كُلُّ حَرْفٍ مِنْ صَوْتِكِ تَارِيخُ

أَهَازِيجِ الملائِكَةِ. كُلُّ إِشْراقَةٍ مِنْ نَظَراتِكِ ٱكْتِنَاهَاتُ الرُّؤَى. كُلُّ أَنَّةٍ مِنْ أَنِينِكِ الرائِعِ أُعْجُوبَةٌ تُخْصِبُ الأَرْضَ — وَأَنَا نَشْوَتُكِ الصَاعِدةُ إِلَيْكِ/ أَنَا عُمْقُ لُهَاثِكِ الأَثِيرِيّ/ أَنَا أَنِينُكِ الَّذي تُصَعِّدينَهُ، لتُغْوِي بهِ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ،

يَا ٱمْرَأَةً كالصَلاةِ...

أَسْتَسْلِمُ لَكِ، كَمَا يَسْتَسْلِمُ النُّورُ لِحَنَانِ الرُّؤْيا، فَٱنْحَدِرِي إِلَى قَرارَتِي، وَلُمّي كِيَانِي عَلَى كِيَانِي يُضِئْ بِكِ/ امْسَحِي صَمْتِي بزَهْوِكِ الرّائِعِ/ بَارِكِينِي بالأَلَقِ،

يَا ٱمْرَأَةً خَشَعَ لَهَا الأَبَدُ حِينَ رَنَّمَتْ،
وَٱنْصَعَقَ لَهَا الزَّمَانُ إِذْ هَلَّ نُورُها/
يَا ٱمْرَأَةً مِنْ مُوسِيقى وَأَثيرٍ/
يَا نَفَسَهُ الَّذي يُحْيي
وَنُورَهُ الَّذي يَفْتَحُ الأَعْيُنَ/

يا ٱمْرَأَةً كَالصَلاةِ...

- ٢ -

وَجْهُكِ الأَثِيرِيُّ نَارٌ في بَرْدِ العُمْرِ الثَّقِيل،
وَيَدَاكِ سُلّمانِ أَرْتَفِعُ بِهِمَا إِلَى إِلَهِي/ تَمْسَحانِ وَجْهِي بطِيبِ العُصُورِ، وَسَكِينَةِ الزُهْدِ/ تَرُدّانِ إِلَيَّ ٱمْتِلاءَ الحَيَاةِ، وَحَلاوَةَ المَعْنَى/ يَدَاكِ دِفْءُ التَّكْوينِ في بَلْقَعِ الأَرْضِ المَهَيّإِ، وَفَرَاغِ الغَمْرِ/ يَدَاكِ، آهِ، يَدَاكِ رَايَتَانِ تَخرُجانِ مِنْ كِيَانِ الإِلَهِ، لِتَعْجُنَا النُورَ عَوَالِمَ مِنْ أَلَقٍ، وتَعْجُنا عَيْنَيَّ مِنْ بَرَارِي عَيْنَيْكِ.

أَيَّتُهَا الخَارِجَةُ مِنْ لَوْنِ الفَرَحِ، النَّابضَةُ في زَهْوِ التَّرَاتِيلِ، أَوْ في كَنِيسَةِ الحُبُورِ،
أَيَّتُهَا المصْقُولَةُ بِالوَحْيِ،
ٱلرَائِعَةُ كَمَلايينِ الأَناشِيدِ تَأْتَلِقُ في حَرْفٍ وَاحِدٍ،
أَيَّتُهَا المسْكُونةُ بِهِ، وَهُوَ يَرْتَعِشُ في فَيْضِ الخَلْقِ،

يَا عَيْنَيَّ المَحْبُولَتَيْنِ بِسِرِّ الرُّؤْيا،

تَخْلُقِينَنِي كُلَّ لَحْظَةٍ/ تُلَوِّنِينَنِي مَعَ كُلِّ آهٍ/ كَأَنَّمَا تَفِيضُ مِنْ عَيْنَيَّ النُّجُومُ، وَتَغُورُ فِي مَسَامِّي كُلُّ المَجَرّاتِ، وَتَخْرُجُ بِكِ، مِنْ صَوْتِي، تَرَانِيمُ السُلَّمِ الصَوْتِيِّ الَّذي يَصْعَدُ إِلَى الرَّبِّ.

يَا عَيْنَيَّ المَحْبُولَتَيْنِ بِسِرِّ الرُّؤْيا،

تَخْلُقِينَنِي كُلَّ لَحْظَةٍ مِنْ عَناصِرِ الفَرَحِ، وَزَهْوِ الأَناشِيدِ/ تُعَلِّمِينَنِي أَنْ أَسْجُدَ فِي مَعْبَدِكِ، لِيَدْفُقَ فِيَّ جَمَالُكِ السَّمَاوِيُّ/ تُعَلِّمِينَنِي أَنْ أُصَلِّيَ لَكِ، وَأَنَا مُبْحِرٌ فِي أَثِيرِ عَيْنَيْكِ اللَوْزِيَّتَيْنِ/ تُعَلِّمِينَنِي أَنْ أَرْقَى إِلَيْكِ كَالبَخُورِ، لأُحَلِّقَ فِي فَضَاءِ رِقَّتِكِ، وَهِيَ تَفِيضُ عَلَى الفِرْدَوْسِ.

يَا عَيْنَيَّ المَحْبُولَتَيْنِ بِسِرِّ الرُّؤْيا.

وَجْهُكِ الأَثِيرِيُّ نَارٌ في بَرْدِ العُمْرِ الثَّقِيل،

وَأَنْتِ الشَّبابُ الأبَدِيُّ الَّذي يُحْيي جَسَدَ العَالَمِ المَوْلُودِ/ أَنْتِ قُوَّةُ التَّكْوينِ، وَهِيَ تَبْذُرُ في كِيَانِ العَالَمِ سِرَّ الطَّلْعِ/ أَنْتِ النَفَسُ - نَفَسُهُ – الَّذي يُحْيي، وَيُخْرِجُ المَوْلُودَ مِنْ جَمَادٍ/ هَاتِي نَارَكِ فَتَدْفَأَ خَلايَايَ في صَخَبِ مَا كُوِّنَ/ هَاتِي نَارَكِ فَأَخْتَصِرَ الحَيَاةَ كُلَّها في ضَمّةٍ وَاحِدةٍ مِنْ ضَمّاتِكِ/ هَاتِي نَارَكِ فَأَسْتَسْلمَ لِرِعْشَةِ الدِّفْءِ تَرْقَى بي إِلَيْكِ.

يَا عَينَيَّ المَحْبُولَتَيْنِ بسِرِّ الرُّؤْيا.

عَيْنَاكِ حُقُولُ اللَوْزِ وَهِيَ تَخْشَعُ في مائِهِ المقَدَّسِ/ عَيْنَاكِ الضَوْءُ النَازِلُ مِنْ عَلُ، وَهُوَ يَخْتَرِقُ الوِجْدانَ، إلى سِرِّ الرُّؤْيا/ عَيْنَاكِ الرُّؤْيا الَّتي تَكْشِفُ سِرَّ الفَرَحِ، وَسِرَّ الخُلُودِ في الفَرَحِ/ وَفي عَيْنَيْكِ يَمْرَحُ الضَوْءُ، وَهُوَ يَرْشُقُ الطَّلْعَ بقَصَائِدِ الأَلَقِ/ في عَيْنَيْكِ تَسْتَغْرِقُ الفِتْنةُ، وتَصِيرُ عَالمًا أَثِيرِيًّا في غُبَارِ التَّكْوينِ، وَغَمْرًا إِلَهِيًّا مِنْ سِرِّ النُشُوءِ،

يَا عَيْنَيَّ المَجْبُولَتَيْنِ بسِرِّ الرُّؤْيا.

– ٣ –

أَقْرَأُكِ حَرْفًا حَرْفًا في أَبْجَدِيَّةِ الأَثِيرِ/

تَقْـرَإِينَني كَالقَصِـيدَةِ الَّـتي أَنْشَـدَها البُعْـدُ مِـنْ فَـوْقُ، وَأَشْرَفَ بهَا عَلَى تَجْرِبةِ الدُّنْيَا/ تَقْرإِينَنِي في احْتِلاجَاتِ الزُّهْدِ، وَفي آهَاتِ الجَسَدِ، قَصِيدَةَ نَشْوَةٍ لا حَدَّ لَهَا/ تَقْرَإِينَنِي في عُمْقِ التَّمَلّـي نَصًّـا آتِيًـا مِـنْ أَقْصَـى الكِيَـانِ، يَعْـرِفُ أَنْ يُكَوْكِـبَ جَسَدَكِ، فِيمَا تُكَوْكِبينَ كُلَّ كِيَانِه، وَكُلَّ وُجُودِه/

أَتَقَرَّاكِ
لُغَةً أَبْعَدَ مِنْ كُلِّ لُغَةٍ، تَفْتَحُ لِي مَلَكوتَ الشِّعْرِ،
وَتَرْسُمُ لِي وَطَنِي/

أَتَقَرَّاكِ

عَالمًا مِنَ المعَانِي الخَالِصَةِ، تُفَجِّرُ لِي صُوَرَ النُورِ، وَقَصَائِدَ الفَرَحِ/

أَتَكَوَّنُ بِكِ، كُلَّ لَحْظَةٍ، كَوْنًا جَديدًا، خَارِجًا مِنْ بُخَارِ النُشُوءِ، أَوْ فِرْدَوسًا ضَائِعًا في بُخَارِ الأَمَانِي، يَا كُلَّ الأَمَانِي لُخِّصَتْ في زَهْوٍ أَكْبَرَ مِنْ عُمْرِ الأَبَدِ.

أَقْرَأُكِ حَرْفًا حَرْفًا في أَبْجَدِيَّةِ الأَثِيرِ،

وَبِكِ أَكْتُبُ الرُؤْيا حِينَ تَلْتَهِمُ عَيْنَيَّ بنُورِهَا/ بِكِ أَتَعَمَّدُ بماءِ الفَرَحِ، أُسَافِرُ في حُقُولِ الصَّلاةِ – جَسَدُكِ صَلاةٌ. زَفَراتُكِ الحُرُوفُ. نَشْوَتُكِ البَخُورُ المتَصَاعِدُ/

وَفي جَسَدِي نِهَايَاتُ الخُشُوع/ في جَسَدِكِ الحُلُولُ الأَبَدِيُّ الَّذي يُوصِلُ إِلى كِيَانِ الإِلَهِ، أَيَّتُهَا المرْأَةُ الَّتي كَوَّنَتِ

النُورَ مِنْ شَهْقَتِها البَيْضَاءِ، أَيَّتُهَا المرْأَةُ الَّتي أَخْرَجَتْ، مِنْ شَعْرِها المنْسَدِلِ، قَصَائِدَ الإِلهِ وَهُوَ يَصْنَعُ الجَمَالَ.

وَبنَصِّكِ المضِيءِ أَصْنَعُ رُؤْيَايَ، حَيْثُ يَنْدَثِرُ الجَسَدُ في انْتِهَاكَاتِ الحُدُودِ، وَتَتَلاشَى الرّوحُ في أَرْخَبيلِ الجَسَدِ/ بِنَصِّكِ المضِيءِ أَفْتَحُ رُؤْيَايَ، وَأَقْرَأُ فِيهَا تَكَاوِينَكِ الإِلَهِيَّةَ، أُغَنّي صَلَواتِ النَّشْوَةِ المتَصَاعِدَةِ مِنْ صَبَواتِ الجَسَدِ الأَثِيرِيّ:

نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ أَتّونِ التَّكْوينِ/
نُورٌ عَلَى نُورٍ/
ارْتِقَاءٌ في الرُّؤْيا، يَثْقُبُ سَقْفَ العَالَمِ،
يَكْسِرُ الغِطاءَ السَّمِيكَ،
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ ضَوْءٍ...

أَيَّتُهَا الصَّلاةُ الَّتي تَنْزَعُ عَنِ الجَسَدِ قِشْرَتَهُ،
وَعَنِ الرّوحِ مُيُوعَتَها الطَّوِيلَةَ.

أَيَّتُهَا الصّافِيَةُ كَالضَّوْءِ، الرقِيقَةُ كَالسَّدِيمِ.
يَا وَعْيَ الخَلْقِ، حِينَ يَسْتَيقِظُ عَلَى ذَاتِهِ.
يَا سَيِّدَةَ الصَّلاةِ، وَالشَهْوَةِ، وَالخُشُوعِ.
يَا ٱمْرَأَةَ التَّكْوينِ.

الفصل التاسع:
سِفر التَّوَحُّد

- ١ -

تُشرِقُ الشَمْسُ مِنْ بَسْمَةِ عَيْنَيْكِ، وَيَنْتَشِرُ الحُبورُ. تَسْتَيْقِظُ الأَغارِيدُ فِي حَناجِرِ الطُّيورِ، وتُخيطُ مِنْ أُنْشودَتِها الأَثِيرِيَّةِ هَالةً لِوجهِكِ. تَنْحَدِرُ اليَنابيعُ نَحْوَكِ/ تُعَمِّدُكِ بالأَلَقِ/ تَتَطَهَّرُ بِكِ/ وَتَمْضي فِي فَرَحِها الإلَهِيّ. وَعِنْدَما يَنْهَلُّ النَّدَى قَطْرَةً قَطْرَةً عَلى عُروقِ النَّبَاتِ، يَرْسُمُ مِنْكِ، فِي كُلِّ نَبْضٍ، آهاتِ الفرَحِ الخارجَةَ مِنْ رِئَةِ العُصورِ.

يا ٱمْرَأَةً أَشارَتْ إِلَى الزَّهْوِ فَزَها، وإِلَى الضَّوْءِ فأَضاءَ، وَإِلَى النَيِّراتِ أَنِ ٱبْتَسِمِي فَٱبتَسَمَتْ. يا ٱمرَأَةً يَسْجُدُ لَها الأَثيرُ، وتَزْهو بها الآبادُ، مَدَى الدَهْرِ...

لِماذا

كُلَّمَا ٱصْطَكَّ العُمْرُ عَلى مِهْرَجَانِ الزَّمَنِ ٱتَّشَحْتِ بأَلَقِ الفِرْدَوْسِ، فأَزْهَرَتْ بِكِ حَيَاتِي، وَرَدَّتِ الأَرْضَ جِنانًا تَنْداحُ مِنْ عَيْنَيْكِ السَّماويَّتَيْنِ، وكُلَّما ٱهْتَزَّ القلْبُ ٱضْطَرَمَ فيكِ، وَأَوْرَقَتْ فِيهِ مَسافاتٌ شاسِعَاتٌ مِنْ حَرارَةِ العِشْقِ، وَثُرَيّاتِ الوَحْيِ؛ وكُلَّما اسْتَيْقَظَتِ البَرايَا فِي شُعُبِ ضَميري تَرَقْرَقَ سَنا الفَرَحِ الساكِنِ في خَلاياها، وأَشْعَلَ عُنقودَ الذُّهولِ فِي سَمْتِ ذاتِهَا المتَفَتِّحَةِ؟

لِماذا

إذا خَرَجْتُ خَرَجْتُ مِنْكِ، وإذا دَخَلْتُ دَخَلْتُ إِلَيْكِ، وَإذا نَظَرْتُ إِلَى ذاتِيَ المرتَعِشَةِ رأَيْتُ وَجْهَكِ في ارتِعاشاتِها، وَأَلْفَيْتُ أَلَقَكِ أَنْتِ في خارِطَةِ تَكاوينِها؟

كُلَّما مَسَّني الذُّهُولُ ارتَقَيْتُ إِلَيْكِ، وكُلَّمَا هَزَّنِي العِشْقُ ارتفَعْتُ قُرْبانًا نَحْوَ عَينَيْكِ، يا عَيْنَيْنِ بلا حُدودٍ، يا لَمَساتِ الأَبَدِ فِي سِرِّ التَّكْوينِ؟

وَيَمْضي إِلَيْكِ الأَلَقُ عَلَى رَفيفِ الفَرَحِ، يَمْضي إِلَيْكِ الوَحْيُ عَلَى رَقْصِ الحُروفِ... وَحَيْثُما يَلْمَسُكِ الشِّعْرُ يَحترِقْ فيكِ، لِيخرُجَ أَغانِيَ أَثيريّةً بعُمْقِ الفِرْدَوسِ، أَرْحَمَ مِنْ تَرْنيمةِ الحَياةِ عَبْرَ تَحَوُّلاتِ المدى، وأَرْوَعَ مِنْ باقاتِ الصَّلَوَاتِ القابضَةِ بلَحْنِها عَلَى الزَّمانِ...

يَمْضِي إِلَيْكِ الأَلَقُ، وَهُوَ صاعِدٌ مِنْ حُروفِ الشِّعْرِ، يَصوغُ بشَعْرِكِ رَقرَقَةَ اليَنابيعِ، إذا تَفَجَّرَتْ مِنْ أَعْماقِ الأَرْضِ، يَصوغُ بعَيْنَيْكِ مِهرَجانَ الألوانِ، وَهِيَ تَزهو على خَلْقِ اللهِ يُكَوِّرُ مِنْ صَداكِ الزَهْوَ حَوْلَ غَمْرِ العَطاءِ.

يَمضي إِلَيْكِ الألَقُ... تَمْضي إِلَيْكِ الأَنْواءُ، وتَغسِلُ النورَ عَنْ نورٍ أَعْمَقَ. تَمضي إِلَيْكِ الأغانِي الأَثيرِيَّةُ، وتَغسِلُ الأَلْحانَ عَنْ صَدًى أرخَمَ: أَرَقَّ مِنْ حَناجرِ الملائِكَةِ، وأَرْوَعَ مِنْ تُفّاحِ الملَكوتِ...

وَها هُوَذا وَجْهُكِ

يَخْرُجُ أَحَدًا عَلَى تَرْنيمَةِ العَبَقِ، فَتَنْخَطِفُ إِلَيْهِ إِشْراقاتُ الذواتِ، حَتّى تُعانِقَ روحَ "الواحِدِ"، أَوْ تَنْداحَ عَلى المدى، فَوْقَ الزَّمانِ...

ها هُوَذا وَجْهُكِ

يُشْرِقُ مِنْ قِمّةِ السَّمْت، عَلَى كُلِّ أَرْضِ المخالِيقِ، لِتَنْفَتِحَ عُيونُها، وتَنْساقَ إِلَيْكِ صَغيرَةً، حَابيَةً نَحْوَكِ، تَنْشُدُ الرُّؤْيَةَ الرّائِعَةَ عَبْرَ نُورِكِ السَّمْحِ. ها وَجْهُكِ يَجْبُلُ الظَّلامَ نُورًا، وَيَحُوكُ منْ لَأْلائِهِ السَّدِيمِيِّ حِكايَةَ الحَياةِ للأَرْضِ، وَقِصَّةَ التَّكْوينِ لِأَجْيالِ الكائِناتِ...

يا أَلَقًا مُشْتَعِلًا في وُجودي،

يا كُلَّ الأَلَقِ الخارِجِ مِنْ كِيانِ اللهِ، وَهُوَ يَمْسَحُ فَرَحَ الكَوْنِ.

- ٢ -

اسْتَعْمَرْتِ الأَرْضَ الَّتي سَجَدَتْ لَكِ، وَطَهَّرْتِها بِالبَهاءِ. مِنْكِ تَكَوَّنَتْ، ومِنْكِ ٱمتَدَّتْ عَلَى مَدى الجِهاتِ، ومِنْكِ، آهِ، منكِ أَنْتِ عَمَرَتْ باللَوْنِ والضَّوْءِ، مدى الزَّمانِ.

استَعْمَرْتِ روحِي، فضَفَرَتْ لكِ هالاتِ النّورِ جَدائِلَ، وعَلَّقَتْ لَكِ كِيانِي أَجْمَلَ لَوْحَةٍ فِي هذا الوُجْودِ المَحْبورِ. تَفَجَّرَ فِيَّ الحِسُّ/ رَفَعَتْنِيَ الشَّفافِيَّةُ/ شَفَفْتُ/ ارتَقَيْتُ إِلَى حُبورِكِ، أَشَدَّ زَهْوًا مِنَ الحُبورِ/ تَصاعَدْتُ عَلَى مَذْبَحِ روحِكِ بَخورًا، وَفِي حَنجَرَتِكِ صَدْحَ مَلائِكَةٍ، وَفِي تُرابِكِ زَيْتونًا مُقَدَّسًا وزَيْتًا/ تَوارَيْتُ فيكِ أَصْدَقَ مِنْ رُؤْيا، وَأَرْوَعَ مِنْ صَلاةٍ...

لَكِنَّني،

إِذْ خَرَجْتُ مِنْكِ إِلَى بَراري السَّكينَةِ، تَوارَيْتُ/ عَجَنَنِي الصَّمْتُ/ كَسَرَتْنِي الوَحْدَةُ/ زَلْزَلَتْ قَرارَتِي صَفاقَةُ الحِرْمانِ/ تَصَدَّعَ كِيانِي، وَٱنفَجَرِ...

وَها أَنَا

واحِدًا في قَرارَتِيَ ٱلمشْرِفَةِ علَى الفَراغِ،

أَبْحَثُ عَنْ ذاتِي، عَنْ مَعْدِنِ الوَحْدَةِ، فأُبْتَلَى بِالخَوَاءِ/ أَبْحَثُ عَنْ رَقْرَقَةِ السَّناءِ، فَتُحاصِرُنِي غُيُومُ الدُّجُنَّةِ، عِنْدَ أَبْوابِ الجهاتِ/ لا مَدى. لا جِهاتِ. لا فَوْقَ. لا تَحْتَ: كُلُّ المدى خَواءٌ/ لا مَدى. لا قرارَةَ. لا مَرْأَى. لا صَدى...

وَحْدي... فَراغٌ في هذا الفَراغِ.

وَحْدِي... بلا عُمْقٍ، ولا شَكْلٍ، ولا حَجْمٍ،

واحِدٌ وَحيدٌ...!

ها أَنَا

بَيْنَ ابتِعادِ السَّمْت ومُيُوعَةِ الأَرْضِ، أَبْحَثُ عَنْ ذاتي، عَنْ مَرْقًى إِلَى عَيْنَيْكِ الضَّوئِيَّتَيْنِ. أَبْحَثُ عَنْ ذاتِيَ الَّتي ٱنشَطَرَتْ وَذَرْذَرَتْ حُطامَها عَبْرَ المدى الغائِبِ. أَبْحَثُ عَنّي وَقَدْ خَلَوْتُ مِنْ ذاتِي. أَبْحَثُ عَنْكِ في جَليدِ الصَّمْتِ الرَّهيبِ/

كَيفَ الطَّريقُ إِلَى داخِلِ عَيْنَيْكِ؟ كَيْفَ السَّبيلُ إِلَى ذاتي، وذاتِي رُكامٌ؟

وَحْدي في رُكامِ العالَمِ.

وَحْدي أَمامَ الفَجْرِ المعْتِمِ/ لا تَكْوينَ. لا غَمْرَ. لا صَوْتَ: كُلُّ شَيْءٍ مائِعٌ، حَتّى الغِيابِ/ كُلُّ ما فِيَّ غائِبٌ/ وَحْدي في جَليدِ الدِّفْءِ: لا ٱمْتِدادَ. لا حِسَّ...

وَحْدي في رُكامِ العالَمِ...

- ٣ -

ثُمَّ هَلَّ سَنًا مِنْ داخِلي، عَميقٌ كَحَنْجرَةِ الملائِكَةِ، عالٍ كَالسَّمْت، شَفّافٌ كَالأَثيرِ. وَإِذا أَنَا، مُجَدَّدًا، أُنشودَةٌ تُغَنّي قَصيدَتَكِ الَّتي كُتِبَتْ، وَتَرْفَعُ نَفْسَهَا بَخورًا إِلَى مَذْبَحِ عَيْنَيْكِ.

التَمَّ رُكامِي/ اتَّحَدَ/ تعانَقَتْ روحِي وروحِي/ عادَ إِلَيَّ رَبيعُ الفَرَحِ/ استَوَتِ الجِهاتُ/ تَواصَلَ العُمْقُ/ تَواصَلْتُ – انْبَسَطْتُ على المدى...

عادَ إِلَيَّ عَبيرُ الصَّلاةِ: رَنَّمْتُ لَكِ، حينَ أَشْرَقَ مِنْكِ النّورُ. رَنَّمْتُ، حِينَ انداحَتِ الغِبْطَةُ مِنْ عَينَيْكِ الوارِفَتَيْنِ. رَنَّمْتُ، حِينَ تَأَلَّقْتِ فِيَّ كآيَةٍ مِنْ فَمِ الرَّبِّ.

لَبِسْتُ كِيانِي. مُجَدَّدًا لَبِسْتُ كِيانِي...

وَإِذا أَنَا، في رَوْعَةِ الانخِطافِ، أَرقَى إِلَى فَيْئِكِ/ أَتَفَيَّأُ روحَكِ/ أَقْطِفُ الزَّيْتونَ القُدْسِيَّ مِنْ غاباتِ عَيْنَيْكِ/ أَتَّشِحُ بِكِ – أَلْبَسُكِ، وَقَدْ عَرِيَتْ روحِي.

تَنفَتِحُ أَمامِيَ الطَّرِيقُ إِلى فَوْقُ.
إِلَيْكِ أَعودُ، وَقَدْ خرَجْتُ مِنْكِ،

إِلَيْكِ أَعودُ، فأَطيرُ في الفِرْدَوْسِ نَسْمَةَ شِعْرٍ، أَقْطِفُ تُفّاحَ الخُروجِ والدُّخولِ، يَعْرى كِيَاني إِلّا مِنَ الضَّوْءِ – أُعَرّيكِ. تَنزِلِينَ فِيَّ لُقَيَّا أَبْعَدَ مِنْ أَحْلامِ الأَبَدِ، وأَوْسَعَ مِنْ ظَنِّ المجَرّاتِ مَدى الزَّمانِ. أُعَرّيكِ/ أَتَعَرّى بِكِ/ أَلبَسُكِ – نَتَلابَسُ...

لا شَيْءَ إِلاّنا في مَلَكوتِ الغِبْطَةِ.
لا شَيْءَ إِلاّنا في هذا المدى الممْتَدِّ داخِلَ قَلْبِ اللهِ.
لا شَيْءَ إِلاّنا: واحِدَيْنِ في هَذا الذُّهولِ الأَبَدِيِّ،
واحِدَيْنِ في عالَمِ الضَّوْءِ السَّرْمَدِيِّ،
واحِدَيْنِ يَمْلأانِ كِيانَ اللهِ،
فلا يَكونُ سِواهُما بَعْدُ...

الفصل العاشر:

مَزامِير

- ١ -

عَلِّمِينِي أَنْ أَنَامَ بَيْنَ أَشْجَارِ شَعْرِكِ
أَقْطِفَ مِنْهُ ثِمَارَ الرَوْعَةِ
وَلَيْلَ الذُّهُول...
عَلِّمِينِي أَنْ أَرْكَعَ فِي مَذْبَحِ عَيْنَيْكِ
أَرْفَعَ فِيهِمَا بَخُورَ الدَّهْشَةِ
وَصَلاةَ الانْخِطَافِ.
عَلِّمِينِي أَنْ أَسْبَحَ فِي نُورِكِ المنهَلِّ،
أَسْتَمِدَّ مِنْهُ النِّعْمَةَ الدّافِقَةَ
وَرُؤَى الأَقْصَى...
وَإِذَا ٱرْتَدَّ الصَّدَى إِلَى حَنْجَرَتِكِ الرّائِعَةِ
ٱنْبَثَقَ نَشِيدًا مَلائِكِيًّا مِنْ أَناشِيدِ العِشْقِ،
مُرَصَّعًا بنَفَسِ الرَّبِّ،

وَبرَذَاذِ الأُلُوهَةِ.

عَلِّمِينِي أَنْ أَكُونَ،
أَنْ أَشْتَفَّ مِنْ رَوْعَتِكِ وَجْدِي،
وَمِنْ خَلايَاكِ المنِيرَةِ نَبْضَ قَلْبِي،
وَمِنْ كِيَانِكِ السَّمَاوِيِّ غِبْطَتِي وَكِيَانِي...
يا جَوْهَرَةَ الأَلَقِ،
يَا أُرْجُوحَةَ العِشْقِ الطّافِرِ مِنْ قَلْبِ اللهِ.

- ٢ -

خُذْ يَدِي، أَيُّها الخَارِجُ مِنّي، يَفِضْ عَلَيْكَ النُورُ،
وَتَرْتَفِعْ إِلَى الفِرْدَوْسِ بِجانِحٍ مِنْ أَثِيرٍ.
خُذْ يَدِي، احْمِلْ تَقَاطِيعِي في حَنَايَاكَ،
تَلَوَّنْ بي

أُرَدِّدْ فِي وُجُودِكَ نِعْمَةَ وُجُودِي،
وَأَتحَلَّلْ فِيكَ ذَرَّةً ذَرَّةً،
أَحْمِلْكَ إِلَى أَثِيرِ الغَرَابَةِ،
حَيْثُ لا شَيْءَ إلّا تَرَانيمَ العُلَى
خَارِطةً لِلعَالَمِ الآتِي
مِنْ قَرارةِ عَيْنَيْكَ.

خُذْ يَدِي، أَيُّها النَاظِرُ بعَيْنَيّ،
تَنْكَشِفْ لَكَ الرُؤَى،
وَتُداعِبْ عَيْنَيْكَ انْعِكَاسَاتُ أَنْوَارِها.
وَحِينَ تَنْكَشِفُ عَلَيَّ أَنْتَ
بقَرارَتِكَ المضِيئَة،
أُدْرِكُ أَنّي صِرْتُ إِيَّاكَ،
وَأَنَّنِي اكْتَمَلْتُ.

- ٣ -

عِنْدَمَا يَنْفَتِحُ قَلْبُكِ عَلَيّ
مِثْلَ أَبْوَابِ السَمَاءِ
أَرْتَفِعُ، كَمَا يَرْتَفِعُ البَحُورُ
إِلَى فَضَاءَاتِ وَجْدِكِ،
أَتَكَسَّر،
كَرَغِيفِ الجِيَاعِ الَّذي يَذُوبُ في الحَلْقِ.

عِنْدَمَا يَنْفَتِحُ قَلْبِكِ عَلَى عَيْنَيّ،
يَزُولُ بَصَرِي/
أَرَى بعَيْنَيْكِ...
يَزُولُ سَمْعِي/
أَسْمَعُ بأُذُنَيْكِ...
يَزُولُ أَنْفِي/
أَشُمّ بأَنْفِكِ...

تَتَلاشَى حَوَاسّي –
تَصِيرِينَ أَنْتِ الحَوَاسَّ وَالحِسَّ وَالوَعْيَ وَالشُعُورَ.
تَصِيرِينَ الذُهُولَ،
وَأَنَا نَجْمَةٌ مُعَلَّقَةٌ،
تُزَيِّنُ جَبينَكِ الإِلَهِيَّ،
يَا حَبيبَتِي.

عِنْدَمَا يَنْفَتِحُ قَلْبُكِ عَلَى عَيْنَيَّ،
أَتَفَتَّحُ كَالوَرْدِ
وَهُوَ يُعَانِقُ بَسَمَاتِ الرَبيعِ،
أَوْ يَفْتَحُ فَمَهُ، لأَوَّلِ مَرَّةٍ،
مُسَبِّحًا نِعْمَةَ الحَيَاةِ.

عِنْدَمَا يَنْفَتِحُ قَلْبُكِ عَلَى عَيْنَيَّ،

يَمْسَحُ جِلْدِي بأَناشِيدِ الملائكةِ،
وَعَيْنَيَّ بنُورِ السَمَاءِ.

- ٤ -

أَهْدِمُكَ وَأَبْنِيكَ كُلَّ لَحْظَةٍ،
وَكُلَّ لَحْظَةٍ أَلِدُكَ بِكْرًا/ نَتَوَالَدُ/
نَتَكَسَّرُ/ نَنْعَجِنُ/ نَتَكوَّنُ/ نَكُونُ...
أَسْتَعْمِرُكَ بكُلِّ امْتِلائِي؛
وَمَعَ ذَلِكَ
تَحْتَلُّ فِيَّ كُلَّ زَاوِيَةٍ،
وَتَقْرَأُ لِي ذَاتِي
رَائِعَةً كَالتَّكْوينِ...

أَهْدِمُكَ وَأَبْنِيكَ كُلَّ لَحْظَةٍ،

أَصْنَعُ مِنْكَ فِرْدَوْسي.
أَنْبُتُ فِيهِ زَهْرَةً
تَنْظِمُ عُمْرَكَ قَصيدَةً
مِنْ خَيَالاتِكَ صُوَرُها،
وَأَيَّامُكَ الأَبْجَدِيَّةُ.

أَهْدِمُكَ وَأَبْنِيكَ كُلَّ لَحْظَةٍ.
تَتَكَوَّنُ بي
جَدِيدًا تَخْرُجُ كَزَهْرِ الرَّبيعِ،
تَفْتَحُ عَيْنَيْكَ عَلَيّ/ تَكْتَشِفُني،
كُلَّ لَحْظَةٍ تَكْتَشِفُني
فَتَكْتَشِفُ بي كُلَّ النِّسَاءِ
كَوْنًا لانِهَائِيًّا... يُخْتَصَرُ في عَيْنَيْنِ.

- ٥ -

عَلِّمِينِي أَنْ أَقْرَأَ فِي وَجْهِكِ آيَاتِ النُورِ،
أَنْ أَمُوتَ، أَنْ أَحْيَا...
عَلِّمِينِي أَنْ أَقْطِفَ مِنْ جِلْدِكِ الرّائِعِ
بَخُورَ الجِنَّةِ، وَسَوْسَنَ الملائِكَةِ،
أَوْ صَهِيلَ الرَّغْبَةِ الَّتِي تَصْدَعُ الوَاقِعَ.
عَلِّمِينِي أَنْ أَقْرَأَ، فِي صَمْتِكِ، أَبْجَدِيَّةَ الذُّهُولِ،
وَقَصِيدَةَ الفِرْدَوْسِ الَّتِي تَنْظُمُها حَنَاجِرُ الملائِكَةِ،
وَيُرَتِّلُهَا السَّحَابُ وَالنَسِيمُ الماطِرُ،
يُبَارِكُ بِهَا الأَرْضَ،
يُبَارِكُ حُضُورَكِ الوَاحِدَ،
أَيَّتُهَا المَرْأَةُ الوَاحِدَةُ،
يَا كِيَانِيَ الفَائِزَ فِي مَمْلَكَةِ الأَبَدِ.

عَلِّمِينِي أَنْ أُصَلِّيَ

كُلَّمَا نَظَرْتُ فِي عَيْنَيْكِ اللَوْزِيَّتَيْنِ.
عَلِّمِينِي أَنْ أُصَلِّيَ
كُلَّمَا لَثَمَتْ شفَتَاي
ضَوْعَ النّورِ الرّاشِحِ مِنْ جلْدِكِ
كَزَيْتِ القِدِّيسِينَ،
أَوْ أَمْسَكَتْ عَيْنَاي
بِطَيْفِكِ النّائِمِ فِي أَعْمَاقِ كِيَانِي،
الحَالِمِ فِي مَدَى الفِرْدَوْسِ...
عَلِّمِينِي أَنْ أُصَلِّيَ
كُلَّمَا احْتَرَقْتُ قُرْبَانًا لَكِ
فِي مَذْبَحِ الجَسَدِ الَّذي يَشْهَقُ مِنْ رَوْعَةٍ،
أَوْ فِي مَعْبَدِ الرُوحِ الَّذي يَنْخَطِفُ
إِلَى عَيْنَيْكِ، لِكَيْ يُعَانِقَ إِلَهَهُ.

عَلِّمِينِي أَنْ أُصَلّيَ،

أَقْرَأَ فِيكِ قَصِيدَةَ الرُوحِ،
وَأَبْجَدِيَّةَ الجَسَدِ الَّتي تُلَمْلِمُ الحُقُولَ،
أَوْ تُنَقِّطُ كُلَّ رَوْعَةِ الكَوْنِ
في شَهْقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ لُهَاثِ عِشْقِكِ.
عَلِّمِينِي، أَيَّتُهَا الوَاحِدةُ الوَاحِدَة،
أَنْ أَلْثُمَ خَطْوَكِ الإِلَهِيَّ،
بفَرَحِ رُوحِي...

- ٦ -

إِقْرَأْنِي كَالكِتَابِ المَفْتُوحِ
تَكْتَشِفْ أَبْجَدِيَّةَ الرَوْعَةِ،
وَتُكَوِّنْ مِنْ ذَاتِي ذَاتًا
أَبْعدَ مِنْ وَثَبَاتِ الحُلْمِ،
وَأَوْسَعَ مِنْ بَرارِي الخُلُودِ.
اقْرَأْنِي كَالكِتَابِ المَفْتُوحِ

تَتَعَلَّمْ تَسَقُّطَ الوَحْيِ مِنْ عَلُ،
وَٱنكِشافَ الأَنْوَارِ عَبْرَ وَجْهِيَ الأَثِيرِيّ...
إِقْرَأْنِي، آهِ، اقْرَأْنِي،
تَتَسَبَّحْ مِنْ حُرُوفِي قَصِيدَتُكَ الأَبَدِيَّةُ،
تَتَقَطَّرْ فِي ذَاتِي شَغَفًا
أَبْعَدَ مِنْ صَفْوةِ الفَجْرِ،
وَأَنْقَى مِن ابْتِسَامَاتِ الأَطْفَالِ.

أَيُّهَا المرتَقِي إِلَى ذَاتِي لِتَشْهَدَ ضَوْعَ الفَجْرِ،
أَيُّها الخَارِجُ مِنِّيَ، السّاكِنُ فِيَّ،
ازْرَعْ فِي رُوحِي فَرَحَ التَخَلّي،
وَغِبْطَةَ الاكْتِشَافِ،
وَاكْشِفْنِي لَكَ تَعْرَ،
وَتَلِجِ النُورَ...

اقْرَأْنِي كَالكِتَابِ المفْتُوحِ عِنْدَ حَافَّةِ الدَهْرِ،
افْتَحْنِي عَلَى ذَاتِي تَنْهَلَّ فِي دَاخِلِكَ أَهَازِيجُ الذُّهُولِ،
وَتَنْبُتْ فِي تُرَابِ الفِرْدَوْسِ
زَهْرَةَ ضَوْءٍ سَمَاوِيٍّ، جُذُورُها مِنْ أَعْمَاقِي...

- ٧ -

فَتَحْتِ ذَاتِي عَلَى السَّدِيمِ، فَاخْتَرَقْتُ الحُجُبَ، وَانْخَطَفْتُ إِلَى ضَوْئِكِ/ فِيهِ وَجَدْتُ ذَاتِي/ وَجَدْتُكِ/ كُنْتِ فِيَّ نَشِيدَ الفَرَحِ الَّذي يُعْتِقُنِي مِنِّي، يَطِيرُ بِي إِلَى مَدَارِ النّورِ، يُذِيبُنِي فِيهِ حَتَّى التَّلاشي/ كُنْتِ فِيَّ رَنِينَ الصَّمْتِ الَّذي يُعَلِّمُنِي البَوْحَ، يُفْرِغُنِي مِنِّي، وَيَمْلأُنِي بِكِ/

فَتَحْتِ ذَاتِي عَلَى السَّدِيمِ،
يَا وَجْهًا إِلَهِيًّا، يَظْهَرُ وَيَغِيبُ فِي قَرَارَتِي،
وَلَكِنَّهُ حَاضِرٌ أَبَدًا،

قَوِيٌّ كَالنُورِ،
أَوْ
كَالصَمْتِ الَّذي يَطِيرُ بالرُوحِ إِلَى الأَثِيرِ.

عَلَّمْتِـنِي ذَاتِي، وَكَيْـفَ أَرْتَفِـعُ بِهَـا إِلَى خُيُـوطِ النُـورِ/
عَلَّمْتِنِي أَنْ أَكْتُبَ برُوحِي شِعْرَ الفِرْدَوْسِ، وَتَراتِيلَ الملائِكَةِ، أَنْ أَصْنَعَ مِنْ رُوحِي هَيْكَلَ عَيْنَيْكِ، وَفِيهِ أَسْجُدُ، فِيهِ أَكْتَشِفُ كُلَّ لَحْظَةٍ حُضْرَةَ الأَثِيرِ، وَرَوْعَةَ البدَايَةِ/

وَأَنْتِ المنْتَهَى،
أَنْتِ الحُدُودُ،
أَنْتِ السَّمْتُ،
أَنْتِ الألِفُ وَاليَاءُ،
أَنْتِ الفَنَاءُ وَالولادَةُ/
تَلبَسِينَ كُلَّ لَحْظَةٍ كَوْنًا،

وَفي كُلِّ لَحْظَةٍ تَخْتَصِرِينَ جَمِيعَ الأَكْوَانِ.

فَتَحْتِ ذَاتِي عَلَى السَّدِيم/
آهِ،
أَعْطَيْتِنِي نِعْمَةَ أَنْ أَكُونَ بِكِ،
وَأَلْثُمَ بيَدَيْكِ الإِلَهِيَّتَيْنِ
كُلَّ نِعَمِ الوُجُودِ.

- ٨ -

كُلَّمَا لامَسَتْنِي رُوحُكَ أَرَّقَنِي الفَرَحُ، وَٱشْتَعَلَتْ في بَرَارِي كِيَانِي شُمُوعُ الغِبْطَةِ، فَأَرْكَعُ دَاخِلَ مَعْبَدِكَ، لأُكَوِّنَ فِيكَ، كُلَّ لَحْظَةٍ، ذَاتِيَ الجَدِيدَةَ/

أَنْتَ الأَوَّلُ،
أَمَّا أَنَا فَالْخَلْقُ/

أَنْتَ الطِينُ الإِلَهِيُّ،
أَمَّا أَنَا فَالتَّكْوينُ.

كُلَّمَا لَبسَتْنِي أَرْضُكَ أَعْشَبَتْ فِيهَا عَيْنَايَ اللَوْزِيَّتَانِ، فَشَقَّتْ ثِمَارُهَا التُّرَابَ، وَامْتَدَّتِ الجُذُورُ دَاخِلَ أَعْمَاقِهَا/ كُلَّمَا لَبِسَتْنِي سَمَاؤُكَ صَفَتْ زُرْقَتُهَا، وَوَشَّحَهَا الزَّهْوُ الملائِكِيُّ، طَارَ بِهَا إِلَى فَضَاءَاتِ ذَاتِي/ كُلَّمَا لَبِسَتْنِي عَيْنَاكَ أَشْرَقَتْ فِيهِمَا الرُّؤَى، وَٱنْحَدَرَ إِلَيْهِمَا البَوْحُ الإِلَهِيُّ يَكْشِفُ عَنْ مَاضِيَّ وَآتِيَّ عَارِيَيْنِ/

أَنَا الكَشْفُ،
أَمَّا أَنْتَ فَصَفَاءُ التَلَقِّي/

كُنْ فِيَّ مَا يَجْعَلُ التَّكْوينَ أَعْمَقَ مِنْ تَكْوِينٍ/ كُنْ ذَاتِيَ الَّتِي تَشِفُّ عَنْ عُيُونِ الأَبَدِ، وَذُبْ فِي مَسَامِّي مَطَرًا مِنْ تَوْقٍ أَتوَحَّدْ، وَأَنْهَلَّ عَلَى كِيَانِكَ رَذَاذًا سَمَاوِيًّا، يُعْشِبُ رُوحَكَ بذُهُولِ الغِبْطَةِ السَّرْمَدِيَّةِ...

يَا رَجُلاً يَخْتَصِرُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ
كُلَّ تَارِيخِ الرِجَالِ/
يَا كِيَانِيَ الفَائِرَ مِنْ مَلَكُوتِ الأَبَدِ.

كُنْ فِي كِيَانِي مَا يَجْعَلُنِي أَشَدَّ عُمْقًا، وَأَكْثَرَ صَفَاءً، فَأَتَغَلْغَلَ إِلَى رُوحِ العُلَى، وَأُكَرِّرَ فِيهَا ٱنْبِثَاقَاتِي، وَأَصْنَعَ مِنْ حُضُورِي فِي الوُجُودِ مَا يَجْعَلُهُ أَرْوَعَ مَصِيرًا، وَأَصْفَى حُضُورًا/ كُنْ فِيَّ أَجْرَاسَ الحُضُورِ تَقْرَعُ دَاخِلَ مَلَكُوتِكَ العَطْشَانِ إِلَى رُوحِي/ كُنْ وَجْهِي فَأَتَشَكَّلَ، كَمَا يَتَشَكَّلُ الوَاقِعُ الجَدِيدُ فِي تُرَاثِ النُورِ/ كُنْ صَوْتِي فَيَرْقَى إِلَى أَنَاشِيدِيَ الملائِكِيَّةِ كُلُّ صَفَاءِ السَّدِيمِ،

يَا رَجُلًا يَكْتُبُ فِي سَمْتِ وِجْدَانِي
هُوِيَّةَ الوُجُودِ،
يَا رَجُلًا يَخْتَصِرُ فِي ٱبْتِسَامَتِهِ المضِيئَةِ
كُلَّ رُوحِ الخَلْقِ.

- ٩ -

مَعًا نُتَوّجُ الحُضُورَ بالإِشْرَاقِ وَالأَلَقِ...
مَعًا نُعَبّدُ مِعْرَاجَ الكَوْنِ
إِلَى سُدْرَة الفَرَحِ الأَكْبَرِ.
وَإِذَا تَرَقْرَقَ مِنْ رُوحَيْنَا وَهْجُ الرُؤَى،
انْفَتَحَ رِتَاجُ السَمَاءِ، في أَعْمَاقِ الذَوَاتِ،
وَانْغَمَسَ الخَلْقُ في مِياهِ زَهْوِنا،
لِيَخْرُجُ مِنَّا
كَمَا يَفِيضُ الحُبُّ مِنْ قَلْبِ الرَبِّ.

(٢٠٠٧)

وَمِنْكِ أَنْتِ انبَثَقَ الفَرَحُ، وَمَجَّدَ اللهَ بصَوْتِ الملائكة. وَبالأناشِيدَ الَّتي تَمْلأُ أَرْجَاءَ الوُجُودِ بَرَكَةً انْبَثَقَ النُورُ. فَاضَ. اخْتَرَقَ الأَجْسَادَ. اخْتَرَقَ الرُوحَ جزْءًا مِنْ طَبيعَةِ الرُوحِ/ انْبَثَقَ النُورُ. انْدَلَقَ مِنَ الفِرْدَوْسِ عَلَى العَالَمَ. مَجَّدَهُ بِكِ. آلَفَهُ. صَنَعَ لِوَجْهِكِ مَعْبَدًا، وَلِعَيْنَيْكِ غِلالاتٍ مِنَ الغَابَاتِ العَذْراء.